الأعمال الشعرية الكاملة

لنزار قباني

الأعمالُ
الشعريّة
الكامِلَة

الأعمال الشعرية الكاملة

الطبعة الثانية

آب (أغسطس) ١٩٩٨

منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
ص.ب ٦٢٥٠

نـزار قبـاني

الأعمال الشعرية الكاملة

الجزء الرابع

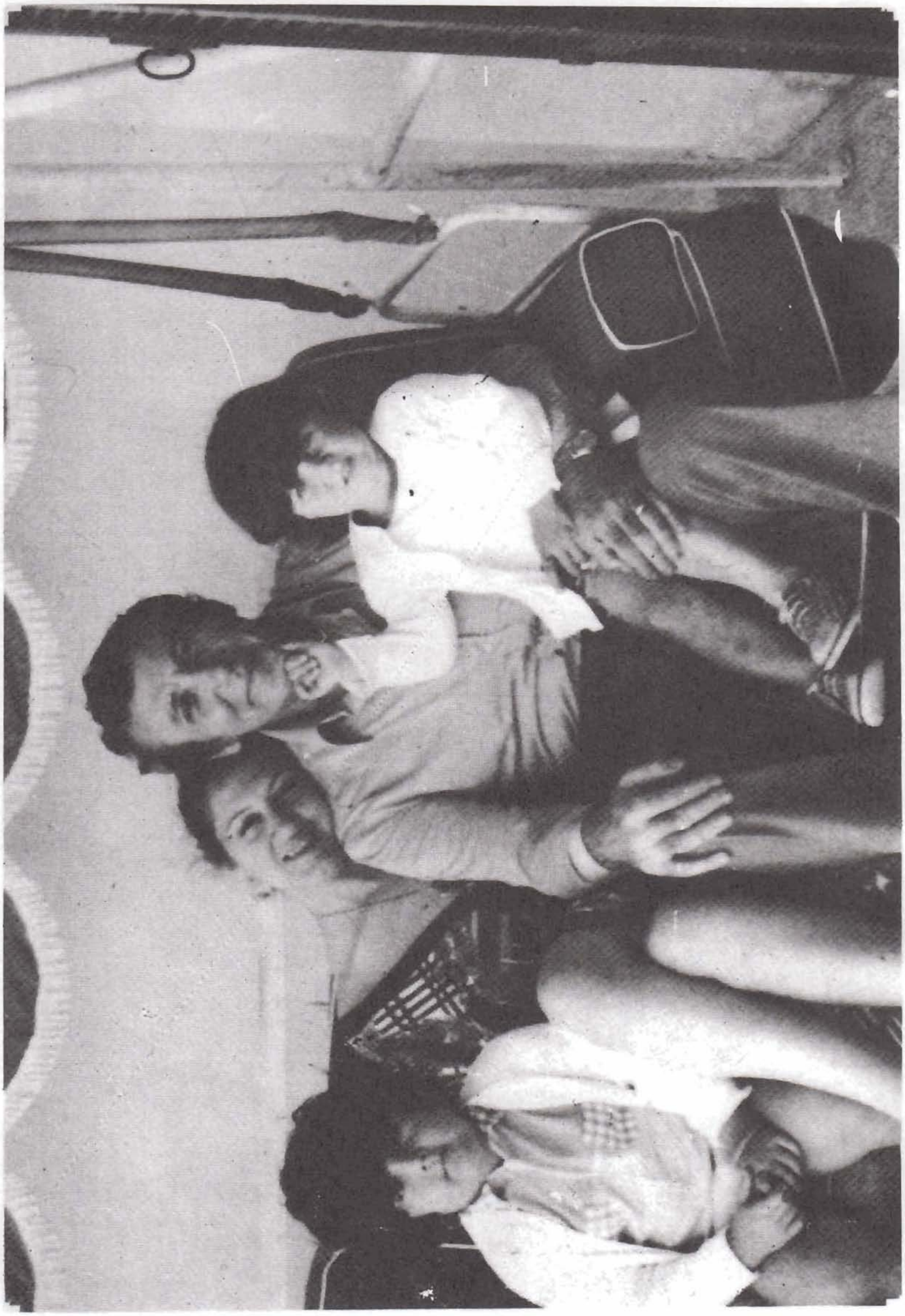
قصيدة بلقيس

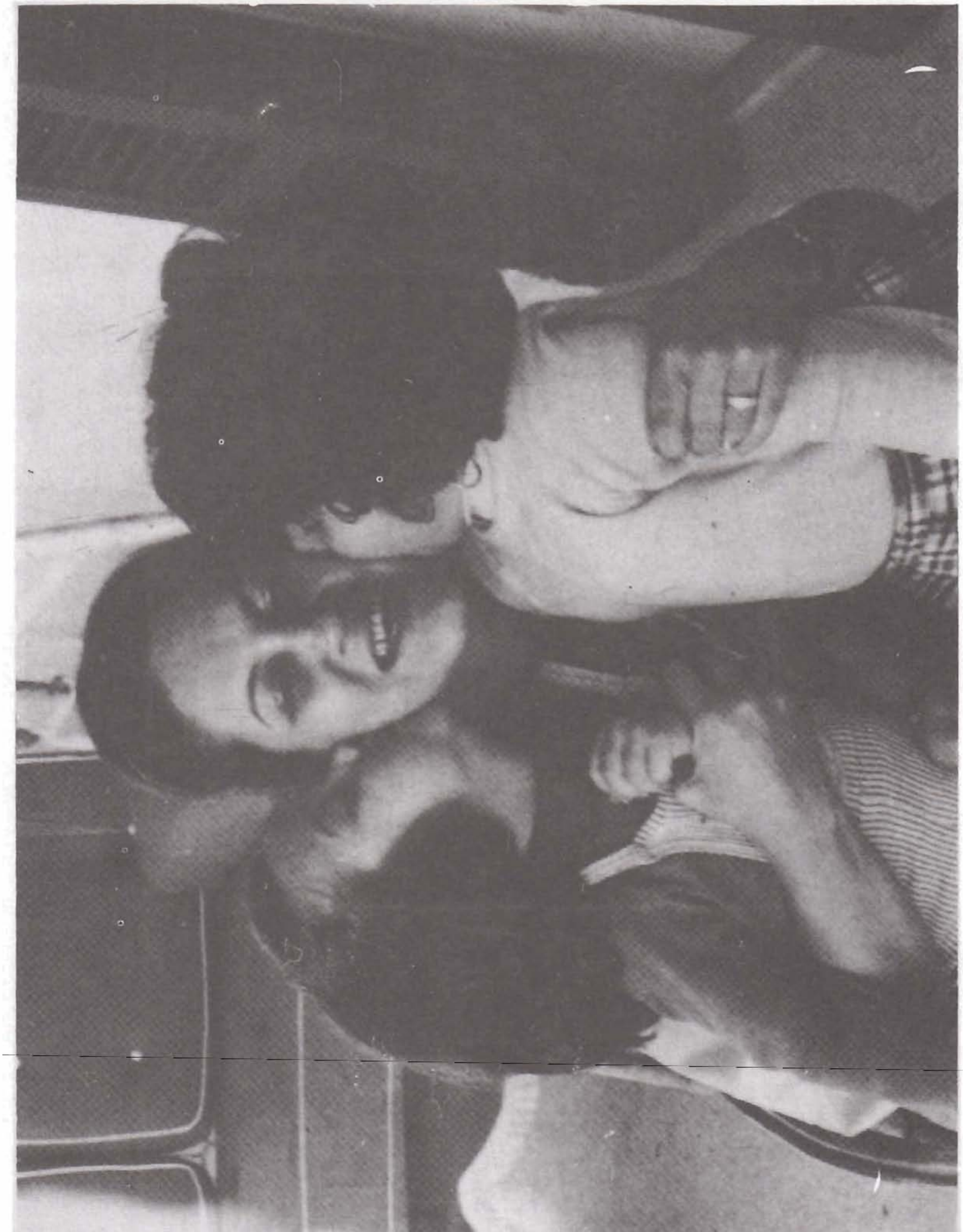
الكتاب الثامن عشر

١٩٨٢









شُكراً لكُمْ ..

شُكراً لكُمْ ..

فحبيبتي قُتِلَت .. وصار بوُسعِكُم

أنْ تشربوا كأساً على قبرِ الشهيدَهْ

وقصيدتي اغْتِيلَتْ ..

وهل من أُمَّةٍ في الأرضِ ..

- إلا نحنُ - نغتالُ القصيدَةْ ؟

بلقيسُ ..
كانَتْ أجملَ المَلِكَاتِ في تاريخ بابِلْ
بلقيسُ ..
كانَتْ أطولَ النَخلاتِ في أرض العِراقْ
كانَتْ إذا تمشي ..
ترافقُها طواويسٌ ..
وتتبعُها أيائِلْ ..

بلقيسُ .. يا وَجَعي ..
و يا وَجَعَ القصيدةِ حينَ تلمسُها الأنَامِلْ
هل ياتُرى ..
من بعد شَعرِكِ سوفَ ترتفعُ السنابلْ ؟

يا نَيْنَوى الخضراءَ ..
يا غجريتي الشقراءَ ..
يا أمواجَ دجلةَ ..
تلبسُ في الربيع بساقِها
أحلى الخلاخِلْ ..

قَتَلُوكِ يا بلقيسُ ..
أَيَّةُ أُمَّةٍ عَرَبيَّةٍ ..
تِلكَ التي
تغتالُ أصواتَ البلابِلْ ؟

أينَ السَمَوْألُ ؟
والمُهَلْهَلُ ؟
والغطاريفُ الأوائِلْ ؟
فقبائلْ أكَلَتْ قبائلْ ..
وثعالبٌ قَتَلَتْ ثعالبْ ..
وعناكبٌ قَتَلَتْ عناكبْ ..

قسماً بعينيكِ اللتينِ اليهما ..
تأوي ملايينُ الكواكبْ ..
سأقولُ ، يا قمري ، عن العربِ العجائبْ
فهل البطولةُ كِذبةٌ عربيّةٌ ؟
أم مثلنا التاريخُ كاذبْ ؟ .

بلقيسُ
لا تتغيَّبي عنّي
فإنَّ الشمسَ بعدكِ
لا تُضيءُ على السواحلْ ..

سأقولُ في التحقيق :
إنَّ اللصَّ أصبحَ يرتدي ثوبَ المُقاتِلْ
وأقولُ في التحقيق :
إنَّ القائدَ الموهوبَ أصبحَ كالمُقاوِلْ ..

وأقولُ :

إن حكايةَ الإشعاع، أسخفُ نكتةٍ قيلتْ ..

فنحنُ قبيلةٌ بين القبائلْ

هذا هو التاريخُ .. يا بلقيسُ ..

كيف يُفرِّقُ الإنسانُ ..

ما بينَ الحدائقِ والمزابلْ

بلقيسُ ..
أيّتها الشهيدةُ .. والقصيدةُ ..
والمُطَهَّرةُ النقيَّهْ ..
سَبَأٌ تفتِّشُ عن مليكَتِها
فرُدّي للجماهيرِ التحيَّهْ ..

يا أعظمَ الملِكاتِ ..
يا امرأةً تُجسّدُ كلَّ أمجادِ العصور السومريّهْ
بلقيسُ ..
يا عصفورتي الأحلى ..
ويا أيقونتي الأَعْلَى
ويا دَمْعاً تناثرَ فوق خدِّ المَجدليّهْ

أَتُرى ظلمتُكِ إذْ نَقَلتُكِ

ذاتَ يومٍ .. من ضفاف الأُعظميَّة

بيروتُ .. تقتُلُ كلَّ يومٍ واحداً منّا ..

وتبحثُ كلَّ يومٍ عن ضحيَّة

والموتُ .. في فِنْجانِ قَهوتِنا ..
وفي مفتاحِ شِقَّتِنَا ..
وفي أزهارِ شُرْفَتِنا ..
وفي وَرَقِ الجرائدِ ..
والحُرُوفِ الأبْجَديَّهْ ...

هانحنُ .. يابلقيسُ ..
ندخُلُ مرةً أُخرى لعصرِ الجاهليَّهْ ..
هانحنُ ندخُلُ في التوحُّشِ ..
والتخلُّفِ .. والبشاعةِ .. والوَضَاعةِ ..
ندخلُ مرةً أخرى .. عُصُورَ البربريَّهْ ...

حيثُ الكتابةُ رِحْلةٌ

بين الشَطيَّةِ .. والشَطيَّةْ

حيثُ اغتيالُ فَرَاشةٍ في حقلِها ..

صارَ القضيَّةْ ..

هل تعرفونَ حبيبتي بلقيسَ ؟
فهيَ أهمُّ ما كَتَبوهُ في كُتُبِ الغرامْ
كانتْ مزيجاً رائعاً
بين القَطيفةِ والرخامْ ..
كان البنفْسَجُ بين عَيْنَيْها
ينامُ ولا ينامْ ..

بـلقيسُ ..

ياعِطـراً بذاكرتي ..

ويا قَبْـراً يسافـرُ في الغمامْ ..

قتلوكِ ، في بيروت ، مثلَ أيِّ غزالةٍ

من بعـدما .. قتَـلُوا الكلامْ ..

بلقيسُ ..

ليستْ هذه مرثيَّةً

لكنْ ..

على العَرَبِ السلامْ

بلقيسُ ..
مُشْتاقُونَ .. مُشْتاقُونَ .. مُشْتاقُونَ ..
والبيتُ الصغيرُ ..
يُسائِلُ عن أميرتهِ المعطَّرةِ الذُيُولْ
نُصْغِي إلى الأخبار .. والأخبارُ غامضةٌ
ولا تروي فُضُولْ ..

بلقيسُ ..

مذبحونَ حتى العظم ..

والأولادُ لا يدرونَ ما يجري ..

ولا أدري أنا .. ماذا أقولْ ؟

هل تقرعينَ البابَ بعد دقائق ؟
هل تخلعينَ المعطفَ الشَتويَّ ؟
هل تأتينَ باسمةً ..
وناضرةً ..
ومُشْرِقةً كأزهار الحُقُولْ ؟

بلقيسُ ..
إنَّ زُرُوعَكِ الخضراءَ ..
مازالتْ على الحيطان باكيةً ..
ووجهكِ لم يَزَلْ متنقّلاً ..
بينَ المرايا والستائرْ

حتى سجارتُكَ التي أُشعلتِها ..
لم تنطفئْ ..
ودخانُها
مازال يرفضُ أن يسافرْ

بـلقيسُ ..

مطعونونَ .. مطعونونَ في الأعمــاقِ ..

والأحداقُ يسكُنها الذُهُولْ

بلقيسُ ..

كيف أخذتِ أيـّامي .. وأحلامي ..

وألغيتِ الحدائقَ والفصُولْ ..

يازوجتي ..
وحبيبتي .. وقصيدتي .. وضياءَ عيني ..
قد كنتِ عصفوري الجميلَ ..
فكيف هَرَبتِ يا بلقيسُ منّي ؟..

بلقيسُ ..
هذا موعدُ الشَّاي العراقيِّ المُعطَّرِ ..
والمُعتَّقِ كالسُّلافَهْ ..
فَمَنِ الذي سيوزِّعُ الأقداحَ .. أيتها الزُّرافَهْ؟
ومن الذي نَقَلَ الفُراتَ لِبَيتنا ..
وورودَ دَجْلَةَ والرَّصافَهْ؟

بلقيسُ ..

إنَّ الحُزْنَ يثقبُني ..

وبيروتُ التي قَتَلَتْكِ .. لا تدري جريمتَها

وبيروتُ التي عَشقَتْكِ ..

تجهلُ أنّها قَتَلَتْ عشيقَتَها ..

وأطفأتِ القَمَرْ ..

بلقيسُ ..

يا بلقيسُ ..

يا بلقيسُ

كلُّ غمامةٍ تبكي عليكِ ..

فمَنْ تُرى يبكي عليَّا ..

بلقيسُ .. كيف رحَلْتِ صامتةً

ولم تَضَعي يديْكِ .. على يَدَيَّا ؟

بلقيسُ ..
كيفَ تركتِنا في الريح ..
نرجفُ مثلَ أوراق الشجَرْ ؟
وتركتِنا - نحنُ الثلاثةَ - ضائعينَ
كريشةٍ تحتَ المطَرْ ..
أتُراكِ ما فكَّرتِ بي ؟
وأنا الذي يحتاجُ حبكِ .. مثلَ (زينبَ) أو (عُمَرْ)

بلقيسُ ..
يا كَنْزاً خُرافيّاً ..
ويا رُمْحاً عِراقيّاً ..
وغابَةَ خيزُرَانْ ..
يا مَنْ تحدَّيتِ النجُومَ ترفُّعاً ..
مِنْ أينَ جئتِ بكلِّ هذا العُنْفُوانْ ؟

بــلقيسُ ..

أيتهـــا الصديقــةُ .. والرفيقــةُ ..

والرقيقـــةُ مــثلَ زَهْرةِ أُقْحُوانْ ..

ضاقتْ بنا بيروتُ .. ضاقَ البحرُ ..

ضاقَ بنا المــكانْ ..

بــلقيسُ : ما أنتِ التي تَتَــكَرَّرِينَ ..

فما لبلقيسَ اثْــنَــتَانْ ..

بلقيسُ ..

تذبحُني التفاصيلُ الصغيرةُ في عَلاقتِنَا ..

وتجلُدني الدقائقُ والثواني ..

فلكُلِّ دبّوسٍ صغيرٍ .. قصَّةٌ

ولكلِّ عِقْدٍ من عُقُودِكِ قصَّتانِ

حتّى ملاقطُ شَعْرِكِ الذَهَبيِّ ..
تغمُرُني ، كعادتِها ، بأمطارِ الحنانِ
ويُعَرِّشُ الصوتُ العراقيُّ الجميلُ ..
على السِتائرِ ..
والمقاعدِ ..
والأوَاني ..

ومن المَرايـا تطْلَعينَ ..

من الخواتـم تطْلَعينَ ..

من القصـيدة تطْلَعينَ ..

من الشُـمُوعِ ..

من الكؤُوسِ ..

من النبـيذ الأُرجُواني ..

بلقيسُ .. يا بلقيسُ ..

لو تدرينَ ما وَجَعُ المكانِ ..

في كُلِّ ركنٍ .. أنتِ حائمةٌ كعصفورٍ ..

وعابقةٌ كغابةِ بَيْلَسانِ ..

فهناكَ .. كنتِ تُدخِّنينَ ..

هناكَ .. كنتِ تُطالعينَ ..

هناكَ .. كُنتِ كنخلةٍ تتمشَّطينَ ..

وتدخُلينَ على الضيوفِ ..

كأنَّكِ السَيْفُ اليمَاني ..

بلقيسُ ..
أينَ زجاجةُ (الغيرلانِ) ؟
والولاّعةُ الزرقاءُ ..
أينَ سجارةُ الـ (كَنْتِ) التي
ما فارقَتْ شفَتَيْكِ ؟
أين (الهاشميُّ) مُغنّياً ..
فوقَ القوامِ المَهْرجانِ ..

تتذكَّرُ الأمْشَاطُ ماضيها ..
فيكْرُجُ دَمْعُها ..
هل ياتُرى الأمْشَاطُ من أشواقها أيضاً تُعاني ؟
بلقيسُ : صَعْبٌ أنْ أهاجرَ من دمي ..
وأنا المُحَاصَرُ بين ألسِنَة اللهيبِ ..
وبين ألْسِنَةِ الدُخَانِ ...

بلقيسُ : أيتُّها الأميرَهْ
ها أنتِ تحترقينَ .. في حرب العشيرةِ والعشيرَهْ
ماذا سأكتُبُ عن رحيل مليكتي ؟
إنَّ الكلامَ فضيحتي ..

ها نحنُ نبحثُ بين أكوام الضحايا ..
عن نجمةٍ سَقَطَتْ ..
وعن جَسَدٍ تناثَرَ كالمَرَايَا ..
ها نحنُ نسألُ يا حَبيبَهْ ..
إنْ كان هذا القبرُ قبْرَكِ أنتِ
أم قَبْرَ العُرُوبَهْ ..

بلقيسُ :

يا صَفْصَافةً أرْخَتْ ضفائرَهَا عليَّ ..

ويا زُرَافةَ كبرياءْ ..

بلقيسُ :

إنّ قَضَاءَنَا العربيَّ أن يغتالَنا عَرَبٌ ..

ويأكُلُ لَحْمَنا عَرَبٌ ..
ويبقُرُ بطْنَنَا عَرَبٌ ..
ويَفتحُ قَبْرَنا عَرَبٌ ..
فكيفَ نفرُّ من هذا القَضَاءْ ؟

فالخنجرُ العربيُّ .. ليسَ يُقيمُ فرقاً
بين أعناقِ الرجالِ ..
وبين أعناقِ النساءْ ..

بلقيسُ :
إنْ هم فجَّروكِ .. فعندنا
كلُّ الجنائزِ تبتدي في كربلاءَ ..
وتنتهي في كربلاءْ ..

لَنْ أقرأَ التاريخَ بعد اليوم
إنَّ أصابعي اشْتَعلَتْ ..
وأثوابي تُغطّيها الدماءْ ..
ها نحنُ ندخُلُ عصرَنا الحجريَّ ..
نرجعُ كلَّ يومٍ، ألفَ عامٍ للوَرَاءْ ...

البحرُ في بيروتَ ..
بعد رحيلِ عينيكِ استقالْ ..
والشِعْرُ .. يسألُ عن قصيدتِهِ
التي لم تكتمِلْ كلماتُها ..
ولا أحدٌ .. يُجيبُ على السؤالْ

الحُزْنُ يابلقيسُ ..
يعصُرُ مهجتي كالبُرْتقالَهْ ..
الآنَ .. أعرفُ مأزَقَ الكلماتِ
أعرفُ ورْطَةَ اللغةِ المُحَالَهْ ..
وأنا الذي اخترعَ الرسائلَ ..
لستُ أدري .. كيفَ أَبتَدِئُ الرسالَهْ.

السَيفُ يدخُلُ لحم خاصِـرَتي

وخاصِـرَةِ العبـارَهْ ..

كلُّ الحضارةِ، أنتِ يا بلقيسُ ، والأُنثى حضارَهْ ..

بلقيسُ : أنتِ بِشارَتي الكُبرى ..

فَمَنْ سَـرَق البِشارَهْ ؟

أنتِ الكتابةُ قبْلَما كانَتْ كِتَابَهْ ..

أنتِ الجزيـرةُ و المَنَـارَهْ ..

بـلقيسُ :

يا قَمَرَي الذي طَمَـرُوهُ مابين الحجارَهْ ..

الآنَ ترتفـعُ السِـتارَهْ ..

الآنَ ترتفـعُ السِـتارَهْ ..

سَـأقُولُ في التحقـيقِ ..

إنّي أعرفُ الأسماءَ .. والأشـياءَ .. والسُجناءَ ..

والشـهَدَاءَ .. والفُـقَرَاءَ .. والمُسْتَضْعَفينْ ..

وأقولُ إنّي أعرفُ السـيَّافَ قاتلَ زوجتي ..

ووجوهَ كُلِّ المُخْبرِينْ ..

وأقولُ: إنَّ عفافَنا عُهْرٌ ..
وتَقْوَانا قَذَارَهْ ..
وأقُولُ: إنَّ نضالَنا كَذِبٌ
وأنْ لافَرْقَ ..
ما بين السياسةِ والدَعارَهْ !!

سَأقُولُ في التحقيق :
إنِّي قد عَرَفتُ القاتلينْ
وأقُولُ :
إنَّ زمانَنا العربيَّ مُختَصٌّ بذَبْحِ الياسَمينْ
وبقَتْلِ كُلِّ الأنبياءِ ..
وقَتْلِ كُلِّ المُرسَلين ..

حتّى العيونُ الخُضْرُ ..
يأكُلُها العَرَبْ
حتّى الضفائرُ .. والخواتمُ
والأساورُ .. والمرايا .. واللُعَبْ ..
حتّى النجومُ تخافُ من وطني ..
ولا أدري السَبَبْ ..

حتّى الطيورُ تفرُّ من وطني ..
ولا أدري السَبَبْ ..
حتى الكواكبُ .. والمراكبُ .. والسُحُبْ
حتى الدفاترُ .. والكُتُبْ ..
وجميعُ أشيارِ الجمالِ ..
جميعُها .. ضِدَّ العَرَبْ ..

لمَّا تناثَرَ جِسْمُكِ الضَوْئيُّ

يا بلقيسُ،

لُؤْلُؤةً كريمَهْ

فكَّرتُ: هل قَتْلُ النساءِ هوايةٌ عربيَّةٌ

أم أنّنا في الأصل، مُحْتَرِفُو جريمَهْ؟

بلقيسُ ..

يا فَرَسي الجميلةُ .. إنَّني

من كُلِّ تاريخي خَجُولْ

هذي بلادٌ يقتلُونَ بها الخُيُولْ ..

هذي بلادٌ يقتلُونَ بها الخُيُولْ ..

مِنْ يومِ أن نَحَرُوكِ ..

يا بلقيسُ ..

يا أحلَى وَطَنْ ..

لا يعرفُ الإنسانُ كيف يعيشُ في هذا الوَطَنْ ..

لا يعرفُ الإنسانُ كيف يموتُ في هذا الوَطَنْ ..

مازلتُ ادفعُ من دمي ..

أعلى جَـزَاءْ

كي أُسْعِدَ الدُنْيـا .. ولكنَّ السَمَـاءْ

شـاءَتْ بأن أبـقى وحيـداً ..

مثلَ أوراق الشتاءْ

هل يُولَدُ الشُعَراءُ من رَحِمِ الشقاءْ؟
وهل القصيدةُ طَعْنَةٌ
في القلب .. ليس لها شِفَاءْ؟
أم أنَّني وحدي الذي
عَيناهُ تختصرانِ تاريخَ البُكَاءْ؟

سأقولُ في التحقيق :

كيف غزالتي ماتَتْ بسيفِ أبي لَهَبْ

كلُّ اللصوص من الخليج إلى المحيطِ ..

يُدمِّرونَ .. ويُحرِقونَ ..

ويَنهبُونَ .. ويرتشُونَ ..

ويَعْتَدُونَ على النساءِ ..

كما يُريدُ أبو لَهَبْ ..

كُلُّ الكِلابِ موظَّفُونَ ..
ويأكُلُونَ ..
ويَسْكَرُونَ ..
على حسابِ أبي لَهَبْ ..

لا قمحةٌ في الأرض ..

تَنْبُتُ دونَ رأي أبي لَهَبْ

لا طفلَ يُولَدُ عندنا

إلا وزارتْ أُمُّهُ يوماً ..

فِراشَ أبي لَهَبْ !! ...

لا سِجْنَ يُفْتَحُ ..
دونَ رأيِ أبي لَهَبْ ..
لا رأسَ يُقْطَعُ
دونَ أمْرِ أبي لَهَبْ ..

سَأقُولُ في التحقيق :

كيفَ أميرتي اغْتُصِبَتْ

وكيفَ تقاسَمُوا فَيْرُوزَ عينَيْها

وخاتَمَ عُرْسِها ..

وأقولُ كيفَ تقاسَمُوا الشَعْرَ الذي

يجري كأنهارِ الذَهَبْ ..

سَأقُولُ في التحقيق :

كيفَ سَطَوْا على آياتِ مُصْحَفِها الشريفِ

وأضرمُوا فيهِ اللَهَبْ ..

سَأقُولُ كيفَ استنزَفوا دَمَها ..

وكيفَ استملَكُوا فَمَهَا ..

فما تركُوا بهِ وَرْداً .. ولا تركُوا عِنَبْ

هل مَوْتُ بلقيسٍ ...
هو النَصْرُ الوحيدُ
بكُلِّ تاريخ العَرَبْ ؟!...

بلقيسُ ..

يا مَعْشُوقتي حتّى الثُمَالَهْ ..

الأنبياءُ الكاذبُونَ ..

يُقَرفِصُونَ ..

ويَرْكَبُونَ على الشعوبِ

ولا رِسَالَهْ ..

لو أنَّهُمْ حَمَلُوا إلَينَا ..

من فلسطينَ الحزينةِ ..

نَجمَةً ..

أو بُرتُقَالَهْ ..

لو أنَّهمْ حَملوا إلينا
من شواطئ غَزَّةٍ
حَجَراً صغيراً
أو مَحارة ..

لو أنَّهُمْ من رُبْعِ قرنٍ حَرَّروا ..
زيتونةً ..
أو أرجَعُوا ليمونةً
ومَحُوا عن التاريخِ عارَهْ

لَشَكَرْتُ من قتلوكِ .. يا بلقيسُ ..
يا مَعْبُودَتي حتى الثُمالَهْ ..
لكنَّهُمْ .. تَرَكُوا فلسطيناً
ليغتالُوا غزالَهْ !!...

ماذا يقولُ الشِعْرُ، يا بلقيسُ ..

في هـذا الزَمَانِ ؟

ماذا يقولُ الشِعْرُ ؟

في العَصْرِ الشُعُوبيِّ ..

المَجُوسيِّ ..

الجَبَانِ ..

والعالمُ العربيُّ ..
مَسْحُوقٌ .. ومَقْمُوعٌ ..
ومَقْطُوعُ اللِسانِ ..
نحنُ الجريمةُ في تَفَوُّقِها
فما (العِقْدُ الفريدُ) .. وما (الأغاني) ؟؟

أَخَذُوكِ أَيَّتُها الحبيبةُ من يَدِي ..
أَخَذُوا القصيدةَ من فَمِي ..
أَخَذُوا الكتابةَ .. والقراءةَ ..
والطُفُولَةَ .. والأَماني

بلقيسُ .. يا بلقيسُ ..
يا دَمْعاً يُنَقِّطُ فوق أهداب الكَمَانِ ..
علَّمتُ من قتلوكِ أسرارَ الهوى
لكنَّهُمْ .. قبلَ انتهاء الشَوْطِ
قد قَتَلُوا حِصَاني

بلقيسُ :

أسألكِ السماحَ ، فربَّما

كانَتْ حياتُكِ فِدْيَةً لحياتي ..

إنِّي لأعرفُ جيّداً ..

أنَّ الذين تورَّطوا في القتْل ، كانَ مُرادُهُمْ

أنْ يقتُلُوا كَلِمَاتي !!!

نامي بحفظِ اللهِ .. أيَّتُها الجميلَهْ
فالشِعرُ بَعدَكِ مُستحيلٌ ..
والأُنوثةُ مُستَحيلَهْ

سَتظلُّ أجيالٌ من الأطفالِ ..
تسألُ عن ضفائركِ الطويلَهْ ..
وتظلُّ أجيالٌ من العُشَّاق
تقرأ عنكِ .. أيَّتُها المعلِّمَةُ الأصيلَهْ ...

وسيعرفُ الأعرابُ يوماً ..

أنّهُمْ قَتَلوا الرسُولَهْ ..

قَتَلُوا الرسُولَهْ ..

ق .. ت .. ل .. و .. ا

ال .. ر .. س .. و .. ل .. ه

بيروت ١٥/١٢/١٩٨١

الحب

لا يقف على الضوء الأحمر

الكتاب التاسع عشر

١٩٨٥

« أنت في العشرين تستطيع أن تُحبّ ..
وأنت في الثمانين تستطيع أن تُحبّ ..
هناك دائماً مناسبة لاشتعال البرق .. »

فرانسواز ساغان

إفتتاحية

هذا كتابي الأربعُونَ .. ولم أزَلْ
أحْبُو كتلميذٍ صغيرٍ .. في هَوَاكِ
هذا كتابي الأربَعُونَ ..
ورغمَ كلِّ شَطَارتي .. ومَهَارتي
لم يرضَ عنّي ناهداكِ ...
كلُّ اللغات قديمةٌ جداً ..
وأضْيَقُ من رُؤايَ ومن رُؤاكِ ..
لا بدَّ من لغةٍ أُفَصِّلُها عليكِ .. حبيبتي ..
لا بدَّ من لغةٍ تليقُ بمستواكِ ..

* * *

حَلَّقتُ آلافَ السنين .. وما وصلتُ الى ذُرَاكِ
وجلبتُ تيجانَ الملوكِ ..
وما حصلتُ على رضَاكِ ..
وصعدتُ فوق الأبْجَديَّة كي أراكِ ..
يا مَنْ تخيطُ قصائدي ثوباً لها ..
هل ممكنٌ بين القصيدةِ .. والقصيدةِ ..
أنْ أراكِ؟؟...

القــــــرار

إنّي عشِقْتُكِ .. واتّخذْتُ قَــرَاري
فلِمَــنْ أُقـدِّمُ ـ يا تُرى ـ أَعْـذَاري

لا سلطــةً في الحُــبِّ .. تعلــو سُلْطتي
فالــرأيُ رأيي .. والخيــارُ خِيــاري

هـــذي أحـاسيسي .. فـــلا تتدخَّـلي
أرجــوكِ ، بين البَـحْـــرِ والبَـحَّــارِ ..

ظلِّــي على أرض الحيـاد .. فإنَّـــني
ســأزيــدُ إصــراراً عـــلى إصـــرارِ

مـــاذا أَخــافُ ؟ أنـــا الشرائـــعُ كلُّـها
وأنـــا المحيـطُ .. وأنتِ من أنهـــاري

وأنا النســـاءُ ، جَـعَلْتُـهُـنَّ خـواتمـاً
بـــأصابعي .. وكـواكبـاً بِـمَـدَاري

* * *

خَلِّيكِ صامتةً .. ولا تتكلَّمي
فأنا أديرُ مع النساءِ حِوَاري

وأنا الذي أعطي مراسيمَ الهوى
للواقفاتِ أمامَ باب مَزَاري

وأنا أُرتِّبُ دولتي .. وخَرَائطي
وأنا الذي أختارُ لونَ بحاري

وأنا أقرِّرُ مَنْ سيدخلُ جنَّتي
وأنا أقرِّرُ مَنْ سيدخُلُ ناري

أنا في الهـوى مُتَـحكّـمٌ .. متسلّـطٌ
في كـلِّ عِشْقٍ نَـكْهـةُ اسْتِعمـارِ

فاسْتَسْلِمي لإرادتي ومشيئـتي
واسْتَقبِـلي بطفولـةٍ أمطـاري ..

إنْ كانَ عنـدي ما أقُولُ .. فـإنّـني
سأقولُـهُ للواحـدِ القهّـارِ ...

* * *

عَيْنَاكِ وَخدّهُما هُمَـا شَرْعيَّـتي
ومـراكـبي ، وصـديقَتَـا أسْفَـاري

إنْ كـانَ لي وَطَـنٌ .. فوجهُـكِ موطـني
أو كـانَ لي دارٌ .. فحبُّـكِ داري

مَـنْ ذا يُحاسِبُني عليكِ .. وأنتِ لي
هِبَـةُ السماء .. ونِعْمـةُ الأقـــدارِ ؟

مَنْ ذا يُحاسِبُني على ما في دمـــي
مِنْ لُؤلُؤٍ.. وزُمُرُّدٍ .. ومَحَارِ ؟

أَيُناقِشُـونَ الديـكَ في ألـوانِهِ ؟
وشقـائقَ النُعْمـانِ في نَـوّارِ ؟

* * *

يا أنتِ .. يا سُلْطَانتي ، ومليكتي
يا كوكبي البحريَّ .. يا عَشْتَاري

إني أُحبُّكِ .. دونَ أيِّ تحفُّظٍ
وأعيشُ فيكِ ولادتي .. ودَمَاري

إنّي اقْتَرَفْتُكِ .. عامداً مُتعمِّداً
إنْ كنتِ عاراً .. يا لروعةِ عاري

ماذا أخافُ ؟ ومَنْ أخافُ ؟ أنا الذي
نامَ الزمانُ على صدى أوتاري

وأنا مفاتيحُ القصيدةِ في يــــدي
من قبـل بَشّــارٍ .. ومن مِهْيَـارِ

وأنــا جعلــتُ الشِعْرَ خُبزاً ساخنــاً
وجعلتُــهُ ثَمَــراً عــلى الأشجــارِ

سافــرتُ في بَــحْرِ النســاءِ .. ولم أزَلْ
- من يومِهَــا - مقطوعــةً أخبــاري ..

* * *

يا غابــةً تمــشي عــلى أقــدامهــا
وتَــرُشُّــني بقُرُنْفُــلٍ وبَــهَــارِ

شَفَتاكِ تشتعلانِ مثلَ فضيحةٍ
والناهدانِ بحالةِ استِنْفَارِ

وعَلاقتي بهما تَظَلُّ حميمَةً
كَعَلاقةِ الثُوَّارِ بالثُوَّارِ ..

فَتشَرَّفي بهوايَ كلَّ دقيقةٍ
وتباركي بجداولي وبِذَاري

أنا جيّدٌ جدّاً .. إذا أحْبَبْتِني
فتعَلَّمي أن تفهمي أطواري ..

* * *

مَـنْ ذا يُـقَاضيـني؟ وِأنــتِ قضيَّـتي
وِرفيفُ أحــلامي ، وضـوءُ نَـهَــاري

مَـنْ ذا يهـدِّدُنـي ؟ وأنــتِ حَـضَـارتي
وثَـقَـافـتي ، وكِـتَـابتي ، ومَـنَـــاري ..

إنِّي اسْتَـقَلْـتُ من القبـائل كُلِّهـــا
وتركــتُ خلفــي خَـيْمَــتي وغُـبَـاري

هُـمْ يرفُـضُـونَ طُـفُـولتي .. ونُـبُـوءَتي
وأنـا رفضـتُ مدائــنَ الفُخَّـــارِ ..

كلُّ القبائل لا تريدُ نساءَها
أن يكتشفْنَ الحبَّ في أشعاري ..

كلُّ السلاطين الذين عرفتُهُمْ ..
قَطَعُوا يديَّ ، وصَادَرُوا أشعاري

لكنَّني قاتَلْتُهُمْ .. وقَتَلْتُهُمْ
ومررتُ بالتاريخ كالإعْصَارِ ..

أَسْقَطْتُ بالكَلِمَاتِ ألفَ خليفةٍ
وحَفَرْتُ بالكَلِمَاتِ أْلفَ جِدَارِ ..

* * *

أَصَغيرتي .. إنَّ السفينـــةَ أَبْـحَـــرَتْ
فَتَـكَـوَّمــي كَـحَـمَـامــةٍ بجـــواري

ما عادَ يَـنْفعُـكِ البُـكَـاءُ ولا الأســى
فلقــدْ عشِقْـتُــكِ .. واتَّخَــذْتُ قــراري ..

٨٣/٣/٢٥

معها .. في باريس

لا الشِعْـرُ ، يُرْضِي طُمُوحاتي ، ولا الوَتَرُ
إنِّي لِعَيْنَيْـكِ ، باسْمِ الشِعْر ، أَعتذِرُ ..

حاولتُ وَصْفَـكِ ، فاسْتَعْصَى الخيالُ معي
يا مَنْ تَدُوخُ على أقدامِكِ الصُــوَرُ

يُـروِّجُـونَ كـلاماً لا أُصَـدِّقُـهُ
هل بين نَـهْدَيكِ ، حقّـاً ، يَسْكُـنُ القَمَرُ ؟؟

كـم صَـعْبةٌ أنتِ .. تَصْويـراً وتَـهْجِيَةً
إذا لَـمَسْتُـكِ ، يبكي في يدي الحَـجَـرُ

مَـنْ أنتِ ؟. مَنْ أنتِ ؟. لا الأسماءُ تُسْعِفُني
ولا البصيرةُ ، تكفيـني ، ولا البَـصَـرُ

نَهْدَاكِ .. كان بـودِّي لو رَسَمْتُهُمَـا
إذا فَشِلْـتُ .. فَحَسْـبِي أنَّـني بَشَـرُ

* * *

أيا غَمَامَةَ مُوسيقى .. تُظلِّلُني
كذا يُنَقِّطُ فوق الجنَّة المَطَرُ

الحَرْفُ يبدأُ من عَيْنَيكِ رحْلتَهُ
كلُّ اللُغَاتِ بلا عينَيْكِ .. تَنْدَثِرُ

يا مَنْ أُحِبُّكِ ، حتى يستحيلَ دمي
إلى نبيذٍ ، بنار العِشْق يَخْتَمِرُ

يُسافِرُ الحُبُّ مثلَ السيف في جَسَدي
ولم أُخَطِّطْ لهُ .. لكنَّهُ القَدَرُ ..

٣٠

هزائمي في الهوى تبدو مُعَطَّرَةً
إنّي بحُبِّكِ مهزومٌ .. ومُنْتَصِرُ

تركتُ خَلْفيَ أمجادي .. وها أنذا
بطُولِ شَعْرِكِ ـ حتى الخَصْرِ ـ أفْتَخِرُ

ماذا يكونُ الهوى إلَّا مُخَاطرةً
وأنتِ .. أجملُ ما في حُبِّكِ الخَطَرُ

يا مَنْ أُحِبُّكِ .. حتى يستحيلَ فمي
إلى حدائقَ فيها الماءُ والثَمَرُ ...

جزائرُ الكُحْلِ في عَيْنَيكِ مُدْهِشَةٌ
ماذا سأفعلُ لو ناداني السَفَرُ ؟؟

* * *

سمراءُ .. إنَّ حقولَ التَبْغ مُقْمِرَةٌ
ولُؤلؤُ البحر شَفَّافٌ .. ومُبْتَكَرُ

هل تذكرينَ بباريسٍ تَسَكُّعَنَا ؟
تمشينَ أنتِ .. فيمشي خَلْفَكِ الشَجَرُ

خُطَاكِ في ساحة (الفاندوم) أُغنيةٌ
وكُحْلُ عينيكِ في (المادلين) ينتثرُ ..

صَديقَةَ المطعم الصِينيِّ .. مقعدُنا
ما زال في رُكْنِنَا الشعريِّ ، ينتظرُ

كلُّ التماثيل في باريسَ تعرفُنا
وباعةُ الورد ، والأكْشَاكُ ، والمَطَرُ

حتّى النوافيرُ في (الكونكُورد) تذكُرُنا
ماكنتُ أعرفُ أنْ الماءَ يَفْتكِرُ ..

* * *

نبيذُ بُوردو .. الذي أحسُوهُ يصرعُني
ودفءُ صوتِكِ .. لا يُبْقي ولا يَذَرُ

ما دُمْتِ لي .. فحدودُ الشمس مملكـــتي
والبرُّ ، والبحرُ ، والشُطْـآنُ ، والجُـــزُرُ

مــا دامَ حُبُّكِ يُعْطيني عبـــاءتَـــهُ
فكيفَ لا أفتــحُ الدنيا .. وأنتصِـــرُ ؟

سأركبُ البحرَ .. مَـجْنُوناً ومُنْتَحِراً ..
والعاشــقُ الفذُّ .. يحيــا حين ينتحِــرُ ...

٨٣/٥/٨

من يوميّات تلميذ راسب

١

ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟
ما هُوَ المطلوبُ بالتحديد منّي ؟
إنَّني أنْفَقتُ في مدرسة الحُبّ حياتي
وطَوالَ الليل .. طالعتُ .. وذاكرتُ ..
وأنهيتُ جميعَ الواجباتِ ..

كلُّ ما يمكـنُ أن أفعلَـهُ في مخدع الحُبِّ ،
فَعَلْتُهْ ...
كلُّ ما يمكنُ أن أحفرَهُ في خَشَب الوردِ ،
حَفَرْتُهْ ..
كلُّ ما يمكنُ أن أرسُمَـهُ ..
من حُرُوفٍ .. ونقاطٍ .. ودوائرْ ..
قد رَسَمْتُهْ ..
فلماذا امتلأَتْ كرّاستي بالعَلَامات الرديئَهْ ؟.
ولماذا تَسْتَهينينَ بتاريخي ..
وقُدْراتي .. وفنّي ..
أنا لا أفهمُ حتى الآنَ ، يا سيِّدتي
ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟.

٢

ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟
يشهدُ اللهُ بأنِّي ..
قد تَفرَّغتُ لنهديْكِ تماما ..
وتَصَرَّفْتُ كفنّانٍ بدائيٍّ ..
فأنْهَكْتُ .. وأَوْجَعْتُ الرُخَاما
إنّني منذُ عصورِ الرقِّ .. ما نِلْتُ إجازَهْ
فأنا أعمَلُ نَحَّاتاً بلا أَجْرٍ لدى نَهْدَيْكِ
مُذْ كنتُ غُلامَا ..
أحملُ الرملَ على ظَهْري ..
وأُلْقيهِ ببحرِ اللانهايَهْ

أنا منذ السَنَة الألفَيْنِ قَبْلَ النهدِ ..
ـ يا سيِّدتي ـ أفعلُ هذا ...
فلماذا ؟
تطلبينَ الآنَ أن أبدأَ ـ يا سيّدتي ـ منذُ البدايَهْ
ولماذا أُطْعَنُ اليومَ بإبْداعي ..
وتشكيلاتِ فنّي ؟
ليتني أعرفُ ماذا ...
يبتغي النَهْدَانِ منّي ؟؟

٣

ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟
كي أكونَ الرجُلَ الأوَّلَ ما بين رجالِكْ
وأكونَ الرائدَ الأوَّلَ ..
والمكتشفَ الأوَّلَ ..
والمستوطنَ الأوَّلَ ..
في شَعْرِكِ .. أو طَيَّاتِ شَالِكْ ..
ما هو المطلوبُ حتّى أدخلَ البحرَ ..
وأَستلقي على دفءِ رمالِكْ ؟

إنّي نفَّذْتُ ـ حتى الآنَ ـ
آلافَ الحماقاتِ لإرضاء خيالِكْ
وأنا استُشْهِدتُ آلافاً من المرّاتِ
من أجل وصالِكْ..
يا التي داخَتْ على أقدامِها
أقوى الممالِكْ..
حَرِّريني..
من جُنوني.. وجَمالِكْ..

٤

ما هُوَ المطلوبُ منّي ؟
ما هُوَ المطلوبُ حتّى قِطَّتي تصفحَ عنّي ؟
إنَّني أطْعَمْتُها ..
قمحاً .. ولَوْزاً .. وزَبيبا ..
وأنا قدَّمتُ للنهديْنِ ..
تُفَّاحاً ..
وخمراً ..
وحليبا ..
وأنا علَّقتُ في رقْبَتِها ..
خرَزَاً أزْرَقَ يحميها من العَيْنِ ،
وياقُوتاً عجيبا ..

ما الذي تطلبهُ القِطَّةُ ذاتُ الوَبَرِ الناعِم منّي ؟
وأنا أَجْلَسْتُها سُلْطَانةً في مقعدي ..
وأنا رافقتُها للبحر يومَ الأَحَـدِ ...
وأنا حَمَّمْتُها كلَّ مساءٍ بيدي ..
فلماذا ؟
بعدَ كلِّ الحُبِّ .. والتكريمِ ..
قد عضَّتْ يدي ؟.
ولماذا هي تدعوني حبيباً ..
وأنا لستُ الحبيبا ..
ولماذا هيَ لا تمحُو ذُنُوبي ؟
أبداً .. واللهُ في عَليائهِ يمحُو الذُنُوبَا ..

٥

ما هُوَ المطلوبُ أن أفعلَ كي أُعْلِنَ للعشق وَلَائي .
ما هُوَ المطلوبُ أن أفعلَ كي أُدْفَنَ بين الشُهَدَاءِ ؟
أَدْخَلُوني في سبيل العِشْق مُسْتَشفى المجاذيبِ ..
وحتَّى الآنَ - يا سيِّدتي - ما أَطْلَقُوني ..
شَنَقُوني - في سبيل الشِعْر - مرّاتٍ .. ومرّاتٍ ..
ويبدُو أنَّهُمْ ما قَتَلُوني ..
حاولوا أن يقلَعُوا الثورةَ من قلبي .. وأوراقي ..
ويبدُو أنَّهُمْ ..
في داخل الثورة - يا سيِّدتي -
قد زَرَعُوني ...

٦

يا التي حُبِّي لها ..
يدخُلُ في باب الخُرافاتِ ..
ويَسْتَنْزِفُ عُمْري .. ودمايا ..
لم يَعُدْ عندي هواياتٌ سوى
أن أجْمَعَ الكُحْلَ الحجازيَّ الذي بَعْثَرْتِ في كلِّ الزوايا.
لم يعُدْ عندي اهتمامَاتٌ سوى ..
أَنْ أُطفيءَ النارَ التي أشْعَلَها نَهْدَاكِ في قلب المرايا ..
لم يعُدْ عندي جوابٌ مُقْنِعٌ ..
عندما تسألُني عنكِ دُمُوعي .. وَيَدَايا ..

٧

إشْرَبي قهوتَكِ الآنَ.. وقُولي
ما هو المطلوبُ منِّي؟
أنا منذُ السَنَةِ الألفَيْنِ قَبْلَ ٱلثغرِ..
فكَّرْتُ بثغرِكْ..
أنا منذُ السنَة الألفَيْنِ قَبْلَ الخَيْلِ..
أَجْري كحصانٍ حَوْلَ خَصْرِكْ..
وإذا ما ذكروا النيلَ..
تَباهَيْتُ أنا في طُول شَعْرِكْ
يا التي يأخُذُني قُفْطَانُها المشْغُولُ بالزَهْر..
الى أرض العَجَائبْ..
يا التي تنتشرُ الشَامَاتُ في أطرافِها
مثلَ الكواكبْ..

إنَّني أصرخُ كالمجنون من شِدَّة عِشْقي..
فلماذا أنتِ، يا سيِّدتي، ضدَّ المواهبْ؟
إنّني أرجُوكِ أن تبتسمي..
إنّني أرجُوكِ أن تَنْسَجمِي..
أنتِ تدرينَ تماماً..
أنَّ خِبْراتي جميعاً تحتَ أَمْرِكْ
وَمَهاراتي جميعاً تحتَ أَمْرِكْ
وأصابيعي التي عَمَّرتُ أكواناً بها
هيَ أيضاً..
هيَ أيضاً..
هيَ أيضاً تحت أَمْرِكْ..

٨٣/٤/١٥

تصويـــــــر

إضْطَجعي دقيقةً واحدةً ..
كي أُكْمِلَ التصويرْ ..
إضْطَجعي مثلَ كتابِ الشِعْرِ في السريرْ
أريدُ أن أُصَوِّرَ الغاباتِ في ألوانِها
أريدُ أن أُصَوِّرَ الشاماتِ في اطمئنانِها
أريدُ أن أُفاجئَ الحَلْمَةَ في مكانِها
والناهدَ الأحمقَ - يا سيِّدتي -
قُبَيْلَ أن يطيرْ ..

فساعديني ..
ـ إنْ تكرَّمْتِ ـ لكَيْ أصالحَ الحريرْ
وساعديني ..
ـ إنْ تكرَّمْتِ ـ لكي أفوزَ في صداقة الكَشْمِيرْ .
لعلَّهُ يسمحُ لي برَسْمِ هذا الكوكبِ المُثيرْ ..
ولْتَقْبلي تحيّتي ..
مَقْرُونةً بالحُبِّ والتقديرْ .

نيسان (ابريل) ١٩٨٣

من غير يدين

لم أكُنْ مُنْتَظِراً ..
أنْ تَثْقُبيني مثلَ رُمْحٍ وَثَنِيْ
لم أكُنْ منتظِراً ..
أن تدخلي في لُغتي .. وكَلَامي ..
وإشاراتِ يَدَيَّ
لم أكُنْ منتظِراً ..
أن تُصبحي أنتِ الثقافَهْ ..
لم أكُنْ منتظراً ..
أن أخسرَ التاجَ .. وحَقِّي بالخِلافَهْ ..

فلقد كنتُ قويّاً .. وشهيراً
وجُنودي يملأونَ البرَّ والبحرَ ..
وراياتي تُغَطِّي المَشْرِقَيْنْ
لم أكُنْ منتظراً أن يحدثَ الزَلْزَالُ ..
أن ينْشَطِرَ البحرُ ..
وأن تكسِرَني عيناكِ ، يوماً ، قِطْعَتَيْنْ ..

* * *

لم أكُنْ مُنتظراً ..
حينَ قَبَّلتُكِ أن أنسى لَدَيْكِ الشَفَتَيْنْ
لم أكُنْ مُنتظراً ..
حينَ عانقتُكِ .. أن أرجعَ من غيرِ يَدَيْنْ ..

أيار (مايو) ١٩٨٣

التقصير

مُنذُ ثلاثينَ سَنَهْ
أحلُمُ بالتغييرْ
وأَكـتُبُ القصيدةَ الثورةَ .. والقصيدةَ الأزْمةَ ..
والقصيدةَ الحريرْ ...

* * *

مُندُ ثلاثينَ سَنَهْ
أَلْعَبُ باللُغاتِ مثلما أَشَاءْ
وأكتبُ التاريخَ بالشكل الذي أشاءْ ..
وأجعلُ النقاطَ ، والحروفَ ، والأسماءَ ، والأفعالَ ،
تحت سُلْطَة النساءْ .
وأدَّعي بأنّني الأوّلُ في فَنِّ الهوى ..
وأنَّني الأخيرْ ..

* * *

وعندما دخلتُ .. يا سيِّدتي
إلى بَلاط حُبِّكِ الكبيرْ ..
إنْكَسَرتْ فوق يدي قارورةُ العبيرْ
وانْكَسرَ الكلامُ – يا سيِّدتي – على فمي
وانْكَسَرَ التعبيرْ ...

* * *

ولا أزالُ كلَّما سافرتُ في عينَيْكِ .. يا حبيبتي
أشعرُ بالتقصيرْ ..
وكلّما حدَّقتُ في يَدَيْكِ يا حبيبتي
أشعرُ بالتقصيرْ ..
وكلَّما اقتربتُ من جمالك الوحشيِّ يا حبيبتي
أشعرُ بالتقصيرْ ..
وكلَّما راجعتُ أعمالي التي كتبتُها ..
قُبَيْلَ أن أراكِ يا حبيبتي ..
أشعرُ بالتقصيرْ ..
أشعرُ بالتقصيرْ ..
أشعرُ بالتقصيرْ ...

قصيدة سريالية

١

لا أنتِ ، يا حبيبتي ، معقولةٌ
ولا أنا معقولْ ..
هل من صفات الحُبِّ ..
أن يُحَطِّمَ العاديَّ ، والمألوفَ ، والمعقولْ ؟
هل من شُرُوط الحُبِّ ..
أن نجهلَ ، يا حبيبتي ، أسماءَنا ؟
هل من شُرُوط الحُبِّ ، يا حبيبتي ؟
أن لا نَرَى أمامَنا ..
ولا نَرَى وراءَنا ..
هل من شُرُوط الحُبِّ ، يا حبيبتي ؟
بأَنْ أُسَمَّى قاتلاً حينَ أنا المقتولْ ..

٢

لا أنتِ يا حبيبتي معقولةٌ ..
ولا أنا معقولْ
فَشَطِّبي ـ حينَ أكونُ غاضباً
من كلِمَاتي ، نِصْفَ ما أقُولْ ..
وهذِّبي مشاعري ..
وقَلِّمي أظَافري ..
ولَمْلِمي جميعَ ما أرميهِ من شوكٍ ومن وُحُولْ
وصَدِّقيني دائماً ..
حين أجيُ حاملاً إليكِ يا حبيبتي
الأزهارَ .. والأقمارَ .. والفُصُولْ ..

٣

لا أنتِ يا حبيبتي معقولةٌ
ولا أنا معقولْ..
ورغْمَ هذا..
يستمرُّ الرفْضُ والقَبُولْ
ورغْمَ هذا..
يستمرُّ الضِحْكُ، والصُرَاخُ، والشُرُوقُ، والأُفُولْ
فما الذي نَخْسَرُ يا حبيبتي؟
لو أنتِ قد أعطيتِني يَدَيْكِ
وسافرتْ يَدَايَ فوق الذَهَب المَشْغُولْ

وما الذي نخسرُ يا مليكتي ؟
لو انْطَلَقْنَا مثلَ عُصْفُورَيْنِ في الحُقُولْ
وما الذي نخسرُ يا أميرتي ؟
إذا طَبَعْتُ قُبْلَةً في الأحمر الخَجُولْ ..
وما الذي نخسْرُ يا سبيكتي ؟
إذا ارْتَفَعْنَا مثل صُوفيٍّ إلى مرتبة الفَنَاءِ والحُلُولْ
وما الذي نَخْسَرُ يا حبيبتي ؟
لو نحنُ صلَّيْنا على الرَسُولْ ..

من يوميّات رجلٍ مجنون

١

إذا ما صَرَختُ :
« أُحبُّكِ جِدّاً »
« أُحبُّكِ جِدّاً »
فلا تُسْكِتيني .
إذا ما أضعتُ اتزّاني
وطَوَّقتُ خَصْرَكِ فوق الرصيفِ ،
فلا تَنْهَريني ..

إذا ما ضَرَبتُ شبابيكَ نَهْدَيْكِ
كالبَرْقِ ، ذاتَ مَسَاءٍ
فلا تُطْفئيني ..
إذا ما نَزَفْتُ كديكٍ جريحٍ على سَاعِدَيْكِ
فلا تُسْعِفيني ..
إذا ما خرجتُ على كلِّ عُرْفٍ ، وكُلِّ نظام
فلا تَقْمَعيني ..
أنا الآن في لَحَظاتِ الجُنُونِ العظيمِ
وسوفَ تُضيعين فُرْصَةَ عُمْركِ
إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلِّي جُنُوني .

٢

إذا ما تدفَّقْتُ كالبحر فوقَ رِمَالكِ ..
لا تُوقِفيني ..
إذا ما طلبتُ اللجوءَ إلى كُحْلِ عَيْنَيْكِ يوماً ،
فلا تطرُديني ..
إذا ما انْكَسَرتُ فتافيتَ ضوءٍ على قَدَمَيْكِ ،
فلا تَسْحَقيني ..

٣

إذا ما ارْتكَبْتُ جريمةَ حُبٍّ..
وضَيَّع لونُ البرونْزِ المُعَتَّقِ في كَتِفَيْكِ.. يقيني
إذا ما تصرّفْتُ مثلَ غُلامٍ شَقيٍّ
وغَطَّسْتُ حَلْمَةَ نهدكِ بالخَمْرِ...
لا تَضْربيني.
أنا الآنَ في لَحَظات الجُنُونِ الكبيرِ
وسوفَ تُضيعينَ فُرْصَةَ عُمْرِكِ،
إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلّي جُنُوني.

٤

إذا ما كتبتُ على وَرَق الوردِ ،
أنِّي أُحِبُّكِ ...
أرجوكِ أَنْ تقرأيني ..
إذا ما رَقَدتُ كطفلٍ ، بغابَاتِ شَعْرِكِ ،
لا تُوقظيني .
إذا ما حملتُ حليبَ العصافير .. مَهْرَاً
فلا تَرْفُضيني ..
إذا ما بعثتُ بألفِ رسالةِ حُبٍّ
إليكِ ...
فلا تُحْرِقيها .. ولا تُحْرِقيني ..

٥

إذا ما رأَوكِ معي ، في مقاهي المدينة يوماً ،
فلا تُنْكريني ..
فكُلُّ نِسَاء المدينةِ يعرفْنَ ضَعْفي أمامَ الجَمَالِ ..
ويعرفنَ ما مصدرُ الشِعْرِ والياسَمينِ ..
فكيفَ التَخَفّي ؟
وأنتِ مُصَوَّرَةٌ في مياه عُيوني .
أنا الآنَ في لحظات الجُنُون المُضِيءِ
وسوفَ تُضِيعينَ فُرْصَةَ عُمْرِكِ ،
إنْ أنتِ لم تستغلّي جُنُوني .

٦

إذا ما النبيذُ الفَرَنْسيُّ ،
فَكَّ دبابيسَ شَعْرِكِ دونَ اعتذارِ
فحاصَرَني القمحُ من كُلِّ جانبْ
وحاصَرَني الليلُ من كُلِّ جانبْ
وحاصَرَني البحرُ من كُلِّ جانبْ
وأصبحتُ آكُلُ مثلَ المجانينِ عُشْبَ البراري ..
وما عدتُ أعرفُ أينَ يميني ..
وما عدتُ أعرفُ أينَ يساري ؟

٧

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ ،
ألغى الفُروقَ القديمةَ بين بقائي وبين انتحاري
فأرجوكِ ، باسْمِ جميع المجاذيبِ ، أنْ تَفْهَميني
وأرجوكِ ، حين يقولُ النبيذُ كلاماً عن الحُبِّ ..
فوق التوقُّع .. أن تعذُريني .
أنا الآنَ في لَحَظات الجُنُونِ البَهِيِّ
وسوفَ تُضيعينَ فُرْصَةَ عُمركِ
إنْ أنتِ لم تستغلِّي جُنوني ..

٨

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ،
ألْغَى الوُجُوهَ،
وألْغَى الخُطُوطَ،
وألْغَى الزوايا.
ولم يَبْقَ بين النساء سواكِ.
ولم يَبْقَ بين الرجال سوايا.
وما عدتُ أعرفُ أين تكونُ يَدَاكِ..
وأينَ تكونُ يدايا..

وما عدتُ أعرفُ كيف أُفرِّقُ بين النبيذِ ،
وبين دِمَايا ..
وما عدتُ أعرفُ كيف أُميِّز بين كلام يديْكِ
وبين كلام المرايا ..
إذا ما تناثرتُ في آخر الليل مثلَ الشظايا
وحاصَرَني العشْقُ من كُلِّ جانبْ
وحاصَرني الكُحْلُ من كُلِّ جانبْ

وضَيَّعتُ إسْمي ..
وعُنوانَ بيتي ..
وضَيَّعْتُ أسماءَ كُلِّ المراكِبْ
فأرجوكِ ، بعد التناثُرِ ، أن تَجْمَعيني .
وأرجوكِ ، بعدَ انكِسَاريَ ، أن تُلْصِقيني
وأرجوكِ ، بعدَ مَمَاتيَ ، أن تَبْعَثيني
أنا الآنَ في لَحَظاتِ الجنونِ الكبيرِ
وسوف تُضيعين فُرْصَةَ عُمْرِكِ
إنْ أنتِ لم تَسْتَغِلّي جُنوني .

٩

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ ،
شالَ الكيمونُو عن الجَسَد الآسيويِّ
فأطْلَعَ من عُتْمَةِ النَهْد فَجْرًا
وأطْلَعَ منه بهاراً ..
وأطْلَعَ منهُ مَحَاراً ..
وأطْلَعَ منه نُحَاساً ، وشاياً ، وعاجاً
وأطْلَعَ أشياء أُخرى ..

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ،
ألغى اللُّغَاتِ جميعاً.
وحوَّل كُلَّ الثقافات صِفْرَا..
وكُلَّ الحضاراتِ صِفْرَا
وحوَّل ثَغْرَكِ بُسْتَانَ وردٍ
وحوَّلَ ثَغْريَ خمسين ثَغْرا..
إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ أعلنَ في آخر الليلِ،
أنّكِ أحلى النساء..
وأرشقُهُنَّ قواماً وخَصْرَا

وأعْلَنَ أنَّ الجميلاتِ في الكون نَثْرٌ
ووَحْدَكِ أنتِ التي صِرْتِ شِعْرَا
فباسْمِ السُكَارى جميعاً
وباسْمِ الحَيَارى جميعاً
وباسْمِ الذينَ يُعانونَ من لعنة الحُبِّ ،
أرجوكِ لا تَلْعَنيني ..
وباسْمِ الذين يعانُونَ من ذَبْحةِ القلبِ ،
أرجوكِ لا تَذْبحيني ..
أنا الآنَ في لَحَظاتِ الجُنُونِ العظيمِ
وسوفَ تُضيعين فُرْصَة عُمْرِكِ ،
إنْ أنتِ لم تستغلّي جُنُوني ...

٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٣

فاطمة في الريف البريطاني

١

شهرُ ديسمبرَ رائعْ ...
شهرُ ديسمبرَ في لندنَ ، هذا العامَ ، رائعْ
فبِهِ هاجَمَني الحُبُّ ..
وألقاني جريحاً كمصابيح الشَوَارعْ ..
هذه فاطمةٌ تلبسُ بَنْطَالاً من الجلد نبيذيّاً ..
وتُوصيني بأَنْ أُمْسِكَها من يدِها كي لا أضيعْ
وهي تدري جيِّداً ..
أنَّني من يوم ميلادي ، ببحر الحُبِّ ضَائعْ
فلماذا في (هارودزٍ) نَسِيَتْني ؟
ولماذا غضِبَتْ منّي .. لماذا أَغْضَبَتْني ؟

وهي تدري أنّني من دُونها ..
لا أَقْطَعُ الشارع وحدي ..
لا و لا أدخُلُ في المعْطفِ وحدي ..
لا و لا أشرَبُ فنجاناً من القهوة وحدي ..
لا و لا أعرف أن أرجعَ للفُنْدُق وحدي ..
فلماذا في (هارودزٍ) صَلَبْتَني ؟
فوق أكداس هداياها .. لماذا صَلَبْتَني ؟
وهي تدري أنني أعبُدُها
من رأسِها حتّى الأصابعْ ..
شهرُ ديسمبرَ رائعْ .

١

شهرُ ديسمبرَ ، يبقى مَلِكاً بين الشُهُورْ
فهو أعطاني مفاتيحَ السماواتِ ..
وأعطاني مفاتيحَ العُصُورْ ..
ورماني كوكباً مُشْتَعِلاً
حول نَهْدَيْكِ يدُورْ ..
سَقَطتْ في لندنٍ ، كلُّ التواريخِ ،
وغَابَتْ تحت جفنَيْكِ جبالٌ وبُحُورْ ..

شهرَ ديسمبرَ ، الغالكِ .. والغاني ..
فنحنُ الآنَ ضوءٌ غيرُ مرئيٍّ ..
وعطرٌ .. وبَخُورْ ..
شهرُ ديسمبرَ .. مجنونٌ تَعلَّمتِ به ..
أن تَثُوري ..
وتعلَّمتُ به كيف أثُورْ ..
شهرُ ديسمبرَ ..
ألغى عُقْدَةَ الحُبِّ التي نحملُها
فإذا بي مثلَ عُصفُورٍ طليقٍ ..
وإذا بكِ ، يا فاطمةٌ ،
دونَ جُذُورْ ..

لندنٌ .. باردةٌ جدّاً ..
فيا فاطمةٌ ..
إفْتَحي فوقي مِظَلّاتِ الحَنَانْ
لندنٌ قاسيةٌ جدّاً ..
وإنّي خائفٌ جدّاً ..
فرُدّي لي شعوري بالأمَانْ
خَبِّئيني تحت قفطانِكِ ، يا فاطمةٌ
مثلَ طفلٍ ..
فلقد ضيَّعتُ أبعادي ، وأبعادَ المكانْ
حاولي أن تُصْبحي أُمِّي .. كما أنتِ الحبيبَهْ
من زمانٍ .. لم أضَعْ رأسي على صدرٍ حَنُونٍ ..
مِنْ زمانْ ...

٤

لندنُ حُبِّي ..
وفي بارْكَاتِها غَنَّيْتُ أحلى أُغْنِياتي
لندنُ مَجْدي ..
ففيها قد تَغَرْغَرْتُ بأُولى كَلِمَاتي ..
لندنُ حُزْني ..
على كلِّ رصيفٍ دمْعةٌ من دَمَعَاتي
لندنُ عاصمةُ القلبِ ..
وفيها قد تلاقيتُ بستٍّ المَلِكَاتِ ..

لندنُ ،
تعرفُ وجهي جيّداً ..
فأنا جُزْءٌ من اللون الرَمَاديِّ ..
ومن أعْمِدَة النُورِ ..
وأضْوَاءِ الميادينِ ..
وصَوْتِ القُبَّراتِ ..
منذُ أنْ جئتُ إليها عاشقاً
أصبحتْ لندنُ إحدى المُعْجزاتِ ..
لندنٌ .. تأخذني كالطفل في أحضانِها ..
وطَوَالَ الليل ، تتلو من كتاب الذكرياتِ ..
لندنٌ صاحبةُ الفَضْلِ .. فقد
علَّمَتْني العِشْقَ في كُلِّ اللُغَاتِ ...

٥

هذه فاطمةٌ ..
تقتحمُ التاريخَ من كُلِّ الجِهَاتِ ..
إنَّها تدخُلُ كالإبْرَةِ ..
في كلِّ تفاصيل حياتي ..
آهِ .. كم تعجبني فاطمةٌ ..
عندما تجلسُ كالقِطَّةِ بين المُفْرَدَاتِ ..
تأكُلُ الفَتْحَةَ .. والضَمَّةَ .. في شِعْري ..
وتَبْتَلُّ بأمطار دَوَاتي ..

٦

مُبْحِرٌ في زَمَن الكُحْل ..
ولا أدري لأَينْ؟
مُبْحِرٌ فيكِ .. ولا أدري لأينْ؟
يا صباحَ الخير .. يا عُصْفُورتي
أنا في أحسن حالاتي ..
فما أطيبَ القهوةَ في قُرْبكِ ..
ما أرْشَقَ هاتَيْنِ اليَدَيْنْ ..
ثم ما أروعَ أن يكتشفَ الإنسانُ
في ذاتِ صباحٍ لنديٍّ ..
في مكانٍ ما .. على ظهر الحبيبَهْ ...
شامَتَيْنْ ...

لم تكونا ، عندما جئتِ مساءَ البارحَهْ ..
مولودتَيْنْ ...
فاتركيني .. أضفُرُ الشَعْرَ الذي
طالَ في لندنَ ، من فَرْط حناني ، بُوصَتَيْنْ ..
واتركيني ..
أُمْسِكُ الشمسَ التي تغطُسُ بين الشفَتَينْ ..
أتركيني ، أُوقفُ التاريخَ يا فاطمةُ
لحظةً .. أوِ لحظتَينْ ..
أخذُوا كُلَّ عناويني .. ولم يبقَ أمامي
غيرُ هذا الشارعِ الضَيِّقِ بين الناهِدَينْ ...

٧

لندنُ تُمْطرني ثلجاً .. وأبقى باشتهائي بَدَويّا ..
لندنُ تمنحني كلَّ الثقافات .. وأبقى بجنوني عربيًّا ..
لندنُ تُمطرني عقلاً .. وأبقى فوضويًّا ..
لندنُ تجهل حتى الآنَ .. من أنتِ لديَّا
آهِ .. يا سَنْجابةَ الليلِ التي تدخُلُ في الأعماقِ
رُمْحاً وَثَنيًّا ...
إنَّ تاريخَكِ قبْلي كان تاريخاً غبيًّا
إنَّ عصْري قبْلَ أنْ يُرْسِلَكِ اللهُ إليَّا
كان عصراً حَجَريًّا ..

فاشْرَبي شيئاً من الخمر معي ..
إشْرَبي شيئاً من الحُلْم معي ..
إشْرَبي شيئاً من الوَهْم معي ..
إشْرَبي شيئاً من الفَوْضَى معي ..
إشْرَبي حتَّى تصيري امرأةً ..
واتْرُكي الباقي عليَّا ..

٨

شهرُ ديسمبرَ يأتي
لابساً معطفَ شاعرْ
شهرُ ديسمبرَ يُهديني دموعاً .. وشُمُوعاً .. ودَفَاترْ ..
هذه فاطمةٌ تلبسُ كيمُونُو من الصينِ ..
مُوَشًّى بالأزاهرْ ..
شايُ بَعْدَ الظهرِ مِنْ بين يَدَيْها
مهرجَانَاتٌ من اللون ..
ومُوسيقَى أساورْ ..

لم تكُنْ فاطمةٌ مُشْرِقةَ الوجهِ
كما كانتْ (بمارلُو) ..
لم تكُنْ صافيةَ العين كما كانتْ (بمارلُو) ..
لم تكنْ معتزَّةَ النهدَيْن مِنْ قَبْلُ ..
كما كانتْ (بمارلُو) ..
لم تكن ملفوفَة الخَصْرِ ..
كما كانتْ (بمارلُو) ..
لم يكُنْ يسكنُها الشِعْرُ ..
كما كانتْ (بمارلُو) ..
إنّني آمنتُ أنَّ الحُبَّ ساحِر ..

٩

هذه فاطمةُ ..
تغسلُ نَهْدَيها النُحَاسِيَّيْنِ بالماء .. كطائرْ
وأنا في الغرفة الخضراءِ أسْتَلقي سعيداً
تحت أشجار الكاكاوُ ..
وهُتافاتِ المرايا والستائرْ ..
فاشْرَبي شيئاً من الشِعْر معي ..
فأنا - دونَكِ يا سيّدتي - لستُ بشاعرْ
إشربي حتى تصيري امرأةً ..
إن حُبّي لك مَجْنُونٌ .. ومَلْعُونٌ ..
وَوَحْشِيُّ الأظافرْ ..

١٠

وَرَقُ الأشجار في (مارلُو)..
نحاسيٌّ .. ووردِيٌّ .. وأصفَرْ..
ولقائي بكِ في الريف البريطانيِّ
حُلُمٌ لا يُفسَّرْ..
والعصافيرُ ترى ثغرَكِ في أحلامها
وردةً .. أو نجمةً .. أو قُرْصَ سُكَّرْ
وأنا معتقَلٌ ما بين نهديْكِ..
ولا أطلبُ - يا سيّدتي - أنْ أتحرَّرْ..

آهِ .. يا قِطَّةَ (مارلُو) ..
ليتَني أقدرُ أن أغرقَ في فَرْوكِ أكثَرْ ...
ليتَني أقدرُ أن أبقى ..
بهذا الفندق الضائعِ بين الغيم أكثَرْ .
ليتَني أقدرُ أن أدخلَ في جِلْدكِ ..
في شَعْرِكِ ..
في صوتكِ أكثَرْ ..
آهِ .. يا أيَّتها الأنثى التي لا تتكرَّرْ
هل عشقتُ امرأةً قبْلَكِ .. يا فاطمةٌ ؟
إنَّني لا أتذكَّرْ ..
هل سأهوى امرأةً بَعْدَكِ .. يا فاطمةٌ
إنَّني لا أتصوَّرْ ..

١١

آهِ .. يا قِطَّةَ (مارلُو) الساحِرَهْ
علمِّيني .. كيف تُلغى الذَاكِرَهْ
هل سألقاكِ (بمارلُو) ؟.
بعد عامٍ ، ربَّما ، أو بعد شَهْرٍ ..
فتنامينَ على أعشاب صدري ..
وتُفيقينَ على أعشاب صدري ..
قبل (مارلُو) ليس لي عمرٌ .. فأنتِ الآنَ عُمْري ..
بعدَ (مارلُو) سيقولُ الناسُ :
ما أجملَ عينيكِ .. وما أعظمَ شِعْري ..
لم أُشاهِدْ ليلةَ القَدْر .. فهلْ
أنتِ ، يا فاطمةُ ، ليلةُ قَدْري ؟؟

١٢

أَرْجِعيني مرةً أخرى إلى (مارلُو)..
ففيها عِشْتُ عصري الذَهَبيَّا..
لم يرَ الريفُ البريطانيُّ من قبلكِ
عَيْنَيْنِ تَقُولانِ كلاماً عربيًّا..
قبلَ أن ألقاكِ في فندق (مارلو)
كنتُ إنساناً..
وأصبحتُ نبيًّا..

أَرْجِعي لي غرفتي في ملتقى النهرِ ،
وأحلامي ..
ورُكْني الشاعريَّا ..
قبل (مارلُو) لا يُساوي العمرُ شيَّا
بعدَ (مارلُو) لا يُساوي العمرُ شيَّا
إنَّ عَيْنَيْكِ هُمَا ما كَتبَ اللهُ عليَّا
فاتركيني نائماً بينهما ..
واقْفِلي البابَ عليَّا ..

مع فاطمة في قطار الجنون

١

إبْحَثي عن رَجُلٍ غيري ..
إذا كنتِ تريدينَ السَلامَهْ ..
كلُّ حُبٍّ حارقٍ ..
هو - يا سيِّدتي - ضِدَّ السلامَهْ
كلُّ شِعْرٍ خارقٍ ..
هو - في تشكيلِهِ - ضِدَّ السلامَهْ
فابحثي عن رَجُلٍ غيري ..
إذا كنتِ تُحسِّينَ بأصوات الندامَهْ
إبحثي عن رَجُلٍ ..
يمتلكُ القدرةَ والصبرَ .. لتثقيف حمَامَهْ
فأنا من قَبْلُ .. ما حاولتُ تثقيفَ حمَامَهْ ...

إنَّ حُبِّي لكِ يا سيِّدتي
أشْبهُ في يوم القيامَهْ ..
من تُرَى يقدرُ أن يهربَ من يوم القيامَهْ ؟
فاقْبَلي ما قسمَ اللهُ عليكِ ..
بإيمانٍ عميقٍ .. وابتسامَهْ ..
واتّبعيني ..
عندما أركبُ في الليل قطاراتِ الجُنُونْ ..
طالما أنتِ معي ..
لستُ مهتمّاً بما كانَ ..
وما سوفَ يكُونْ ...

٢

آهِ.. يا سُنْبُلةَ القمح التي تخرج من وَسْط الدُمُوعْ
دَخَل السيفُ إلى القلب ، ولا يمكننا الآنَ الرُجُوعْ
إنّنا الآنَ على بوَّابة العشق الخطيرَهْ..
وأنا أهواكِ حتى الذَبْحِ..
حتى الموتِ..
حتى القَشْعريرَهْ..
نحنُ مَشْهُورانِ جدّاً..
وجريئانِ على التاريخ جدّاً..
والإشاعاتُ كثيرَهْ..
هكذا يحدث دوماً في العلاقات الكبيرَهْ.

آهِ .. يا فاطمتي ..
يا التي عِشْتُ وإيّاها ملايينَ الحماقاتِ الصغيرَهْ
إنّني أعرفُ معنى أن يكونَ المرءُ في حالة عشْقٍ
خلفَ أسوار الزمان العربيْ
وأنا أعرفُ معنى أن يبوَح المرءُ ..
أو يهمسَ ..
أو ينطقَ ..
في هذا الزمان العربيْ ..
وأنا أعرفُ معنى أن تكوني امْرَأتي ..
رَغْمَ إرهابِ الزمان العربيْ ..

فأنا تطلبني الشُرْطةُ للتحقيق في ألوان عَيْنَيْكِ..
وفيما تحتَ قُمْصَاني..
وفيما تحتَ وجداني..
وأسفاري .. وأفكاري .. وأشعاري الأخيرَهْ..
وأنا لو أمْسَكُوني..
أسرُقُ الكُحْلَ الذي يُمْطرُ من عينيْكِ..
صَادَتْني بواريدُ العشيرَهْ..
فافْتَحي شَعْرَكِ عن آخرِهِ..
إنَّني مُضْطَهَدٌ مثلَ نبيٍّ..
ووحيدٌ كجزيرَهْ..
إفْتَحي شعرَكِ عن آخرِهِ..
وانْزَعي منه الدبابيسَ.. فهذي فرصةُ العمر الأخيرَهْ

٣

آهِ .. يا أَيْقُونَةَ العمر الجميلَهْ
يا التي تأخذني كلَّ صباحٍ من يدي
نحو ساحات الطفولَهْ ..
وتُريني تحت جَفْنَيْها شُمُوساً مُسْتَحيلَهْ ..
وبلاداً مستحيلَهْ ..
أيُّها الكنزُ الخرافيُّ الذي كان معي
في قطاراتِ الشمالِ ..
إنَّ حِبْرَ الصين في عيْنَيْكِ - يا سيِّدتي -
فوق احتمالي ..
يا التي تمرُقُ من بين شراييني ..
كعطر البرتُقالِ ..

٤

يا التي تشطُرُني نِصْفَيْنِ في الليل ..
وعند الفجر ، تُلقيني على رُكْبَتِها .. نِصْفَ هلالِ ..
يا التي تحتلُّني شرقاً .. وغرباً ..
ويميناً .. وشمالاً ..
إستَمرّي في احتلالي ..
أنا مشتاقٌ إلى أيّام (وندرمير) ..
مشتاقٌ لأنْ أمشي وإياكِ على الماء ..
وأن أمشي على الغيمِ ..
وأن أمشي على الوقتِ ..

ومشتاقٌ لأنْ أبكي على صدركِ حتى آخرِ العمرِ ..
وحتّى آخرِ الشِعْرِ ..
ومشتاقٌ لحانات الضَواحي ..
وكراسينا أمامَ النار ..
مشتاقٌ إلى كلّ الذُرَى البيضاء ..
حيثُ أختلط الكُحْلُ الحجازيُّ مع الثلج ..
ومشتاقٌ إلى شيء من الكونياكِ ..
في بَرْد الليالي ..

٥

آهِ .. يا عصفورةَ الماء التي تجلس قربي ..
في قطارت الشِمالِ ..
إمْسِكيني من ذراعي جيّداً ..
فالقراراتُ التي يُصدرها السلطانُ لا تُشْغِلُ بالي .
ومِلفَّاتي لدى الشُرْطة لا تُشْغِلُ بالي ..
وحدَهُ حبُّكِ ـ يا سيّدتي ـ يُشْغِلُ بالي ..
نحنُ قامرنَا كثيرا ..
وتطرَّفْنا كثيرا ..
وتجاوزنا إشاراتِ المُرُورْ ..
فامْسِكيني من ذراعي جيداً ..
لتدورَ الأرضُ ..
فالأرضُ بلا حُبٍّ كبيرٍ .. لا تدُورْ ..

منطقة البحيرات LAKE DISTRICT
ديسمبر ١٩٨٢

أحبكِ.. أحبكِ.. وهذا توقيعي

١

هل عندكِ شَكٌّ أنَّكِ أحلى امرأةٍ في الدُنيا ؟.
وأَهَمُّ امرأةٍ في الدُنيا ؟.
هل عندكِ شكٌّ أنّي حين عثرتُ عليكِ..
ملكتُ مفاتيحَ الدُنيا ؟.
هل عندكِ شكٌّ أنّي حين لَمَستُ يَدَيْكِ
تغيَّر تكوينُ الدنيا ؟
هل عندكِ شكٌّ أن دخولَكِ في قلبي
هو أعظمُ يومٍ في التاريخ..
وأجملُ خَبَرٍ في الدُنيا ؟.

* * *

٢

هل عندكِ شكٌّ في مَنْ أنتْ ؟
يا مَنْ تحتلُّ بعَينَيْها أجزاءَ الوقتْ
يا امرأةً تكسُر ، حين تمرُّ ، جدارَ الصوتْ
لا أدري ماذا يحدثُ لي ؟
فكأنَّكِ أُنثايَ الأُولى
وكأنّي قَبْلَكِ ما أحْبَبْتْ
وكأنّي ما مارستُ الحُبَّ .. ولا قبَّلتُ لا قُبِّلتْ
ميلادي أنتِ .. وقَبْلَكِ لا أتذكّرُ أنّي كُنتْ
وغطائي أنتِ .. وقَبْلَ حنانكِ لا أتذكّرُ أنّي عِشْت
وكأنّي أيّتها الملِكَهْ ..
من بطنكِ كالعُصْفُور خرَجتْ ...

٣

هل عندكِ شكٌّ أنّكِ جزءٌ من ذاتي
وبأنّي من عَيْنَيْكِ سرقتُ النارَ ..
وقمتُ بأخطر ثوْراتي
أيّتها الوردةُ .. والياقُوتَةُ .. والرَيْحَانةُ ..
والسلطانةُ ..
والشَعْبيَّةُ ..
والشَرْعيَّةُ بين جميع المِلكَاتِ ..
يا سَمَكاً يَسْبَحُ في ماءِ حياتي
يا قَمَراً يطلع كلَّ مساءٍ من نافذة الكلِمَاتِ ..
يا أعظمَ فَتْحٍ بين جميع فُتُوحاتي
يا آخرَ وطنٍ أُولَدُ فيهِ ..
وأُدْفَنُ فيه ..
وأنْشُرُ فيه كِتَابَاتي ..

٤

يا امْرأَةَ الدَهْشةِ .. يا امرأتي
لا أدري كيف رماني الموجُ على قَدَميْكْ
لا أدري كيف مَشَيْتِ إليَّ ..
وكيف مَشَيْتُ إليكْ ..
يا مَنْ تتزاحمُ كلُّ طُيُور البحرِ ..
لكي تَسْتوطنَ في نَهْدَيْكْ ..
كم كان كبيراً حظّي حين عثرتُ عليكْ ..
يا امرأةً تدخُلُ في تركيب الشِعرْ ..
دافئةٌ أنتِ كرمل البحرْ ..
رائعةٌ أنتِ كليلة قَدْرْ ..
من يوم طرقتِ البابَ عليَّ .. ابتدأ العُمرْ ..

٥

كم صار جميلاً شِعْري ..
حين تثقّفَ بين يديكْ ..
كم صرتُ غنيّاً .. وقويّاً ..
لمّا أهداكِ اللهُ إليْ ..
هل عندكِ شكٌ أنّكِ قَبَسٌ من عَيْنَيْ
ويداكِ هما استمرارٌ ضوئيٌّ ليَدَيْ ..
هل عندكِ شكٌّ ..
أنَّ كلامَكِ يخرجُ من شَفَتَيْ ؟
هل عندكِ شكٌّ ..
أنّي فيكِ .. وأنَّكِ فيْ ؟؟

٦

يا ناراً تجتاحُ كياني
يا ثَمَراً يملأْ أغصاني
يا جَسَداً يقطعُ مثل السيفِ ،
ويضربُ مثلَ البركانِ
يا نهداً .. يعبقُ مثلَ حقول التَبْغِ
ويركُضُ نحوي كحصانِ ..
قولي لي :
كيف سأُنقذُ نفسي من أمواج الطُوفَانِ ..
قُولي لي :
ماذا أفعلُ فيكِ ؟. أنا في حالة إدْمَانِ ..
قولي ما الحلُّ ؟ فأشواقي
وصلَتْ لحدود الهَذَيَانِ ...

٧

يا ذاتَ الأَنْف الإغْريقيِّ..
وذاتَ الشَعْر الإسْبَاني
يا امْرأَةً لا تتكرَّرُ في آلاف الأزمانِ..
يا امرأةً ترقصُ حافيةَ القَدَمَيْنِ بمدْخَلِ شِرْياني
من أينَ أَتَيْتِ؟ وكيفَ أَتَيْتِ؟
وكيف عَصَفْتِ بوجداني؟
يا إحدى نِعَمِ الله عليَّ..
وغَيْمَةَ حُبٍّ وحَنَانٍ..
يا أغلى لؤلؤةٍ بيدي..
آهٍ.. كم ربّي أعطاني..

حبيبتي تقرأ فنجانها

١

توقّفي .. أرجوكِ .. عن قراءةِ الفنجانْ
حينَ تكونينَ معي ..
لأنّني أرفضُ هذا العبثَ السخيفَ ،
في مشاعر الإنسانْ .
فما الذي تبغينَ ، يا سيّدتي ، أن تعرفي ؟
وما الذي تبغينَ أن تكْتَشِفي ؟.
أنتِ التي كنتِ على رمال صدري ..
تطلبينَ الدفءَ والأَمَانْ ..
وتصهلينَ في براري الحُبِّ كالحِصَانْ ...

أَلَـمْ تقولي ذاتَ يومٍ ..
إنَّ حُبِّي لكِ من عجائب الزَمَانْ ؟
أَلَمْ تَقُولي إنَّني ..
بَحرٌ من الرقّةِ والحَنَانْ ؟
فكيفَ تسألينَ ، يا سيِّدتي ،
عنّي .. مُلُوكَ الجانْ ؟
حين أكونُ حاضراً ..
وكيفَ لا تصدِّقينَ ما أنا أقولُهُ ؟
وتطلبينَ الرأيَ من صديقكِ الفنجانْ ...

٢

تَوقَّفي .. أرجوكِ .. عن قراءة الغُيُوبْ ..
إنْ كانَ من بشارةٍ سعيدةٍ ..
أو خبَرٍ ..
أو كان من حمامةٍ تحمل في منقارها مَكْتُوبْ
فإنّني الشخصُ الذي سيُطْلِقُ الحَمَامَهْ ..
وإنّني الشخصُ الذي سيكتُبُ المكْتوبْ ..
أو كان يا حبيبتي من سَفَرٍ ..
فإنّني أعرفُ من طفولتي .. خرائطَ الشمال والجنوبْ
وأعرفُ المدائنَ التي تبيعُ للنساءِ أروعَ الطُيُوبْ ..

وأعرفُ الشمسَ التي تنامُ تحت شَرْشَفِ المحبُوبْ
وأعرفُ المطاعمَ الصُغْرى التي تشتبكُ الأيدي بها
وتهمسُ القلوبُ للقلوبْ..
وأعرفُ الخمرَ التي تفتحُ يا حبيبتي نوافذَ الغُرُوبْ
وأعرفُ الفنادقَ الصغرى التي تعفو عن الذُنُوبْ
فكيفَ يا سيّدتي؟
لا تقبلينَ دعوتي
إلى بلادٍ هَرَبتْ من مُعْجَم البُلْدَانْ..
قصائدُ الشِعْر بها..
تنبتُ كالعُشْبِ على الحيطانْ..

وبَحْرُها ..
يخرجُ منه القمحُ .. والنساءُ .. والمَرْجَانْ ..
فكيفَ يا سيّدتي ..
تركتِني .. منْكَسِرَ القلب على الإيوانْ
وكيف يا أميرةَ الزمانْ ؟.
سافرتِ في فنجانْ ...

٣

توقّفي فَوْراً ..
فإنّي لستُ مُهتمّاً بكَشْفِ الفَالْ ..
ولستُ مهتمّاً بأن أُقيمَ أحلامي على رمالْ
ولا أرى معنى لكلِّ هذهِ الرسومِ ، والخطوطِ ، والظلالْ ...
ما دام حُبّي لكِ يا حبيبتي ..
يضربني كالبَرْقِ والزَلْزَالْ ..

فما الذي يفيدُكِ الإسْرَافُ في الخيالْ؟
ما دام حبّي لكِ يا حبيبتي
يُطْلِعُ كلَّ لحظةٍ سنابلاً من ذَهَبٍ..
وأنهراً من عَسَلٍ.. وعِطْرَ برتُقالْ..
فما الذي يفيدُكِ السؤالْ؟
عن كلِّ ما يأتيكِ من رسائلٍ
وكلِّ ما يأتيكِ من أطفالْ..
وكيف، يا سيّدتي، يفكّرُ الرجالْ..

* * *

توقّفي فوراً..
فإنّي أرفضُ التزييفَ في مشاعر الإنسانْ
توقَّفي.. توقَّفي..
من قبل أن أُحَطِّمَ الفنجانْ...

إلى ممثّلة فاشلة

١

في طَبْعكِ التمثيلْ
في طَبْعكِ التمثيلْ
ثيابُكِ الغريبةُ الصارخةُ الألوانْ ..
وصوتُكِ المُفْرِطُ في الحنَانْ ..
وشَعْرُكِ الضائعُ في الزمان والمكانْ ..
والحَلَقُ المغامرُ الطويلْ
جميعُها .. جميعُها ..
من عُدَّةِ التمثيلْ ..

٢

سيّدتي :

إيّاكِ أن تستعملي قصائدي

في غَرَض التجميلْ .

فإنَّني أكرهُ كلَّ امرأةٍ

تستعملُ الرجالَ للتجميلْ

لستُ أنا .. لستُ أنا ..

الشخصَ الذي تُعلِّقينَ في الخزَانَهْ

ولا طُمُوحي أن أُسمَّى شاعرَ السُلْطَانَهْ

أو أنْ أكونَ قِطَّةً تُرْكيةً

تنامُ طولَ الليل تحت شَعْركِ الطويلْ

فالدورُ مستحيلْ .

لأنَّني أرفضُ كلَّ امْرَأةٍ ..

تُحِبُّني .. في غَرَض التجميلْ ..

٣

لا تسْحَبيني من يدي ..
إلى مشاويركِ مثلَ الحَمَل الوديعْ .
لا تحسبيني عاشقاً من جُمْلة العُشَّاق في القطيعْ .
ما عدتُ أستطيعُ أن أحتملَ الإذلالَ يا سيِّدتي ،
والريحَ .. والصقيعْ ..
ما عدتُ أستطيعْ ..
نصيحتي إليكِ .. أن لا تَصْبغي الشفاهَ من دمائي
نصيحتي إليكِ .. أن لا تقفزي من فوق كبريائي
نصيحتي إليكِ .. أن لا تعرضي
رسائلي التي كتبتُها إليكِ كالإمَاء ..
فإنَّني آخرُ مَنْ يُعْرَضَ كالخيول في مجالس النساء

٤

نصيحةٌ ثانيةٌ إليكِ.. يا عزيزتي
لا تحسبيني وَصْلَةً شِعْرِيّةً أكونُ فيها نَجْمَ حَفَلَاتِكْ.
أو تحسبيني بطلاً من وَرَقٍ يموتُ في إحدى رواياتِكْ
أو تُشْعِليني شَمْعةً لتضْمَني نجاحَ سَهْراتِكْ..
أو تلبسيني معطفاً لتعرفي رأيَ صديقاتِكْ..
أو تجعليني عادةً يوميَّةً من بين عاداتِكْ..

٥

نصيحةٌ أخيرةٌ إليكِ .. يا عزيزتي
لا تستَغِلّي الشِعْرَ حتى تُشْبِعي إحدى هواياتِكْ
فلنْ أكونَ راقصاً مُحْتَرِفاً...
يسعى إلى إرضاء نَزْواتِكْ
وها أنا أقدِّمُ استقالتي
من كُلِّ جنَّاتِكْ...

العصفور

لو حَمَيْناهُ من البَرْد قليلا ..
وحَمَيْناهُ من العين قليلا ..
لو غَسَلنا قَدَميْهِ بمياه الورد والآسِ قليلا ..
آهِ .. لو نحنُ أخذناهُ إلى ساحات باريسَ العظيمَهْ
وتصوَّرنا مَعَهْ ..
مرةً في ساحة (الفاندومِ) أو في ساحة (الباستيلِ)
أو في الضفَّة اليسرى من السينْ ..
آهٍ .. لو تَدَحْرَجْنا على الثلج مَعَهْ ..
وهو بالقُبَّعة الزرقاءِ يجري ..
ودموعي جدولٌ يجري مَعَهْ ..

* * *

٢

آهِ .. لو نحنُ أخذناهُ إلى عالم (ديزني) ..
وركبنا في القطارات التي تمرُقُ من بين ملايين
الفَرَاشاتِ إلى قَوْس قُزَحْ ..
آهِ .. لو نحن استجبنا لأمانيه الصغيراتِ ..
وآهٍ .. لو أكلنا معه (البيتزا) بروما ..
وتجوَّلنا بأحياء فلورنسا ..
وتركناهُ ليرمي خبزَهُ لطيور (البُندقيَّهْ) ..
فلماذا هربَ العصفورُ منّا يا شَقِيَّهْ ؟
قد رَسَمْناهُ بأهداب الجفونْ
ونَحَتْناه بأحداق العُيُونْ
وانتظرناهُ قُروناً .. وقُرونْ
فلماذا هربَ العصفورُ منّا ؟
دونَ أن يُلْقي التحيَّهْ ...

٣

رُبَّما ... لو أنتِ من جنَّتكِ الخضراء ، يا سيّدتي ..
لم تطرُديهِ ..
رُبَّما .. لو أنتِ ، يا سيِّدتي ، لم تقتُليهِ ..
كانَ سلطانَ زمانِهْ ..
رُبَّما ... لو كانَ حيّاً
دخلَ الشمسَ على ظهر حصَانِهْ
رُبَّما .. لو قال شِعْراً ..
يقطُرُ السُكَّرُ من تحت لسانِهْ
رُبَّما .. لو شاءَ يوماً أن يُغنّي ..
يطلعُ الوردُ على قوْس كَمَانِهْ ..
رُبَّما .. لو ظلَّ حيّاً ..
حرَّكَ الأرضَ بأطرافِ بَنَانِهْ ..

٤

لا تَقُولي : (لا تُؤاخِذْني) ..
فقد كانَ قضاءً وقَدَرْ ..
هل يكونُ الجهلُ والسُخْفُ قضاءً وقَدَرْ ؟
قَمَراً كانَ ..
ومَنْ يقتُلُ ، يا سيّدتي ، ضوءَ القَمَرْ ؟
وَتَراً كانَ ..
ومَنْ يقطعُ من عُودٍ وَتَرْ ؟
مَطَراً كانَ ..
ولنْ يأتي إلينا مرةً أُخرى المَطَرْ ..
أنتِ لو أعطيتِهِ الفرصةَ يا سيِّدتي ..
ربَّما كانَ المسيحَ المُنْتَظَرْ ...

٥

آهِ .. يا قاتلةَ الحُلْمِ الجميلِ المُبْتكَرْ ..
مؤسفٌ أن يقتلَ الإنسانُ حُلْما ..
مؤسفٌ أن تكسري في الأُفْق نَجْما ..
يا التي تبكي طَوَالَ الليل عصفورَ الأمَلْ
سَبَقَ السيفُ العَزَلْ ..
لا تلوميني إذا ما يبسَ الدمعُ بعينيَّ
وصارَ القلبُ فَحْمَا ..
فأنا كنتُ أباً ..
مُدْهِشَ الأحلام .. لكنْ
أنتِ ، يا سيِّدتي ، ما كُنْتِ أُمًّا ..

فاطمة في ساحة الكونكورد

١

يُمْطِرُ عليَّ كُحْلُكِ الحجازيُّ
وأنا في وَسَط ساحة (الكونكوردْ)
فأَرْتَبكْ ..
وترتبكُ معي باريسْ
تسقطُ حكومةٌ .. وتأتي حكومَهْ
وتطيرُ الجرائدُ الفرنسيّةُ من أكْشاكِها
وتطيرُ الشراشفُ من فوق طاولات المقاهي ..
وتطلبُ العصافيرُ اللجوءَ السياسيُّ
إلى عَيْنَيْكِ العَربيَّتيْنْ ...

٢

أيَّتها العربيَّةُ الداخلةُ كالخنجر في صَبَاحات باريسْ
يا مَنْ ترتشفينَ القهوةَ بالحليبْ
وترتشفين معها كُرَيَّاتي الحمراءَ والبيضاءْ
ما كانَ في حسابي أن أُلاقيكِ في محطّة الحزنْ
وأن تلتقطيني بأهداب حنانِكْ
وأنا في ذَرْوَة البرد ، والخَوْف ، والإنْـكِسَارْ
لكنَّ باريسَ قادرةٌ على كلِّ شيءْ
ونبيذُ بوردو الأحمر ، هو الذي سيُلغي الفُروقْ
بين صقيع أوروبا ..
وشُموس العالم الثالثْ
بين حيائكِ الجميلْ ...
وبين جُنُوني ...

٣

أيَّتها العربيَّةُ التي تتكسَّرُ على أرصفة (المونْمَارترْ)
فتافيتَ ياقُوتٍ ..
وغابةَ سُيوفْ ..
يا مَنْ يتصالحُ في عَيْنَيْها الضوءُ .. والعُتْمَهْ ..
والماءُ .. والحرائقْ
ما كان في حسابي ..
وأنا أتمشَّى بين (الفاندوم) .. و(المادلينْ) ..
أن أدخلَ في جَدَلِيَّةِ اللون الأسودْ
وإشْكَاليّة العُيُونِ الواسعَهْ
كخواتمِ الفضَّهْ ...

ما كانَ في حسابي ..
أن أدخلَ في تفاصيل التاريخ العَرَبيْ
فلقد تخانقتُ مع تاريخي ..
وجئتُ إلى باريسَ .. لأُلغيَ ذاكرتي
ولكنْ .. ما أن نزلتُ من الطائرَهْ ..
حتى نَزَلَتْ ذاكرتي معي ..
ونَزَلَ شَعْرُكِ الغَجَريُّ معي ..
ونزلتْ أثوابُكِ .. ومعاطفُكِ ..
وأدواتُ زينتكِ معي ..
لتسدَّ مداخلَ الطُرُقاتْ
من مطار (شارل دوغول)
إلى كنيسة نوتردامْ ...

٤

يا فاطمةَ ساحة (الكونكوردْ)..
يا فاطمةَ الفاطِماتْ
أيُّها السيفُ المرصَّعُ بأجمل الآياتْ
أيُّها الخصرُ الذي يقولُ القصائدَ والأُغْنياتْ
أيَّتُها اللغةُ التي ألغَتْ جميعَ اللغَاتْ..
أُرحِّبُ بكِ في باريسْ..
وأرجو لكِ إقامةً سعيدَهْ
فوق أعشاب صدري...

٥

يا ذاتَ الشفتينِ المُمْتَلِئتيْنِ كحَّبتَيْ فاكِهَهْ..
كم هُوَ استفزازيٌّ نوعُ العطر الذي تضعينَهْ
وكم هُوَ رائعٌ إفطارُ الصباح معكِ..
وأنتِ تنقرينَ قطعةَ (الكرواسَانْ) كعصفورْ
وتنقرينَ فمي كعصفورْ
أيَّتُها السنجابةُ الآسيويَّهْ
التي تنطُّ من أعلى (برج إيفل) إلى صدري..
ولا تخشى الدُوارْ..
وتستحمُّ بنوافير (قصر فرساي)
ولا تخشى الغَرَقْ..
وتنامُ عاريةً على أعشاب حديقة (التويلري)..
ولا تخشى الفضيحَهْ..

٦

أيَّتُها العربيّةُ التي ينقِّطُ العَسَلُ الأسودُ من عينيْها
نُقْطَةً .. نُقْطَهْ ..
ويُنقِّطُ الشِعْرُ من شَفَتها السُفْلى
قصيدةً .. قصيدَهْ ..
ويرنُّ حَلَقُها الطويلُ صباحَ يوم الأَحَدْ
كناقُوسِ كنيسَهْ ..
ما كانَ في حسابي ..
أن أمرَّ معكِ ذاتَ يومٍ تحتَ قَوْس النصر
لنضعَ وردةً على قبر العاشق المجهولْ ..

ولا كانَ في حسابي ..
أن أرى صورتَكِ في متحف اللوڤر
مع أعمال رينوارْ ..
وماتيسْ ..
وسيزانْ ..
وأن أرى أعمالي الشعريَّهْ
تباعُ في مكتبات الضفّةِ اليُسْرىٰ
مع أعمال رامبو ..
وفيرلينْ ..
وجاك بريڤير ...

٧

صَباحَ الخير ..
أيّتها العصفورةُ القادمةُ من المياه الدافئَهْ
لتغتسلَ بأمطار باريسْ
وأمطار حنيني ..
صباحَ الخير ..
أيَّتُها السَمَكةُ التي تتكلَّمُ اللغةَ العربيَّهْ
وتتهجّى كَلِماتِ الحُبِّ باللغةِ الفَرَنسيَّهْ ..
وتتهجَّاني بكُلِّ لُغَاتِ الأُنوثَهْ ...

٨

كُلَّما سافرتُ إلى باريسَ دونَ حَجْزٍ ..
تصيرينَ فُنْدُقي ...

٩

صباحَ الخير .. يا بُسْتَانَ الزَعْفَرانْ
صباحَ الخير .. يا سُجَّادةَ الكاشَانْ
صباحَ الخير على أصابعكِ النائمة بين أصابعي ..
وعلى معطف المطر الذي كنتِ تلبسينَه معي ..
وعلى جرائد الصباح التي كنتِ تتصفَّحينها معي .
صباحَ الخير ..
على الكافيتريات التي ثَرْثَرْنا فيها ..
وعلى البُوتيكات التي رافقتُكِ إليها ..
وعلى المرايا التي دخلناها معاً ...
ثم سافرتِ ..
وتركتِني حتى الآن .. مَرْسُوماً عليها ...

١٠

يا فاطِمَهْ :
يا ذاتَ الشَفَتيْنِ المعطَّرتيْنِ بحَبِّ الهالْ
والقَدَميْنِ المرسُومتيْنِ بالأكْوَاريلْ
لم يكُنْ في حسابي
أن أكونَ أشهرَ العُشَّاق بتاريخ العَرَبْ ..
وأشهرَ العُشّاق في تاريخ فرنسا ..
لم يكُنْ في حسابي ..
أن أدخلَ إلى باريسَ بجواز سَفَرٍ عربيْ
وأخرجَ منها ..
رئيساً للجمهوريَّة الخامسَهْ !!..

امرأة تمشي في داخلي

١

لا أحدَ قَرأَ فنجاني ..
إلَّا وعرفَ أنَّكِ حبيبتي
لا أَحدَ درَسَ خُطُوطَ يدي
إلا واكتشفَ حروفَ اسْمِكِ الأربعهْ ..
كلُّ شيء يمكنُ تكذيبُهْ
إلَّا رائحةَ امرأةٍ نُحبُّها ..
كلُّ شيءٍ يمكنُ إخفاؤُهْ
إلّا خَطَواتِ امرأةٍ تتحرَّكُ في داخلنا ..
كلُّ شيءٍ يمكنُ الجَدَلُ فيه ..
إلا أُنوثتَكِ ..

٢

أينَ أُخْفيكِ يا حبيبتي؟
نحنُ غابتانِ تشتعلانْ
وكلُّ كاميرات التلفزيون مسلَّطةٌ علينا..
أينَ أُخبِّئكِ يا حبيبتي؟
وكلُّ الصحافيين يريدونَ أن يجعلوا منكِ
نَجْمةَ الغلافْ..
ويجعلوا منّي بطلاً إغريقيّاً
وفضيحةً مكتوبَهْ..

٣

أينَ أذهبُ بكِ ؟
أينَ تذهبينَ بي ؟
وكلُّ المقاهي تحفظُ وجوهَنا عن ظَهْر قلبْ
وكلُّ الفنادق تحفظُ أسماءنا عن ظَهْر قلبْ
وكلُّ الأرصفة تحفظُ موسيقى أقدامِنا
عن ظَهْر قلبْ ..
نحنُ مكشوفان للعالم كشُرْفَةٍ بحريَّهْ
ومرئيّانِ كَسَمَكتينِ ذهبيَّتَيْنْ ..
في إناءٍ من الكريستالْ ..

٤

لا أحَدَ قرأ قصائدي عنكِ..
إلّا وعرفَ مصادرَ لغتي..
لا أحَدَ سافر في كُتُبي
إلا وَصَل بالسلامة إلى مرفأ عينَيْكْ
لا أحَدَ أعطيتُهُ عُنْوانَ بيتي
إلا توجَّهَ صَوْبَ شفتيكْ..
لا أحَدَ فتحَ جواريري
إلّا ووجدكِ نائمةً هناكَ كفرَاشَهْ..
ولا أحَدَ نبشَ أوراقي..
إلَّا وعرفَ تاريخَ حياتِكْ..

٥

علِّمني طريقةً ..
أحبسُكِ بها في التاء المربوطَهْ
وأمنعُكِ من الخروجْ ..
علِّمني أن أرسمَ حول نهديْكِ
دائرةً بالقَلَم البنفسجيْ
وأمنعهُمَا من الطيرانْ
علِّمني طريقةً أعتقلكِ بها كالنقطة في آخر السطرْ ..
علمني طريقةً أمشي بها تحت أمطار عينَيْكِ .. ولا أتبلّلْ
وأشمُّ بها جسدَكِ المضمَّخَ بالبَهَارات الهنديَّة .. ولا أدوخْ ..
وأتَدَحْرَجُ من مُرْتَفَعاتِ نهديْكِ الشاهقينْ ..
ولا أتفتَّتْ ....

٦

إرفعي يَدَيْكِ عن عاداتي الصغيرَهْ
وأشيائي الصغيرَهْ..
عن القلم الذي أكتُبُ بهِ..
والأوراقِ التي أُخَرْبشُ عليها..
وعَلَّاقةِ المفاتيح التي أحملُها..
والقهوةِ التي أحتسيها..
ورَبْطَات العُنُق التي أقتنيها
إرفعي يَدَيْكِ عن كتابتي..
فليس من المعقول أن أكتبَ بأصابعكِ
وأتنفّسَ برئتيْكِ..
ليس من المعقول أن أضحكَ بشفَتَيْكِ
وأن تبكي أنتِ بعُيُوني!!.

٧

إجلسي معي قليلاً ..
لنُعيدَ النظرَ في خريطة الحُبّ التي رسَمْتِها
بقَسْوَة فاتحٍ مَغُوليٍّ ..
وأنانيّةِ امرأةٍ تريدُ أن تقولَ للرجُل :
« كُنْ .. فيكونْ .. »
كلِّميني بديمقراطيَّهْ ،
فذُكُورُ القبيلة في بلادي ..
أتقنوا لُعْبَةَ القَمْعِ السياسيّْ
ولا أريدُكِ أن تُمارسي معي
لُعْبَةَ القَمْعِ العاطفيّْ ..

٨

إجلسي حتى نرى ..
أينَ حدودُ عينَيْكِ ؟.
وأينَ حدودُ أحزاني ؟.
أين تبتديءُ مياهُكِ الإقليميَّةْ ؟
وأين ينتهي دمي ؟.
إجلسي حتى نتفاهَمْ ..
على أيٍّ جزءٍ من أجزاء جَسَدي
ستتوقّفُ فتوحاتُكْ ..
وفي أيٍّ ساعةٍ من ساعات الليلْ
ستبدأ غَزَوَاتُكْ ؟

٩

إجلسي معي قليلاً ..
حتى نتّفقَ على طريقة حُبٍّ
لا تكونينَ فيها جاريتي ..
ولا أكونُ فيها مستعمرةً صغيرَةً
في قائمة مستعمراتِكْ ..
التي لا تزالُ منذ القرن السابع عَشَرْ
تطالبُ نهدَيْكِ بالتحرُّرْ
ولا يسمعانْ ..
ولا يسمعانْ ..

لا أرى أحداً سواكِ

أنا لا أفكِّرُ ..
أن أقاومَ ، أو أثُورَ على هواكِ ..
فأنا وكلُّ قصائدي ..
من بعض ما صنعتْ يداكِ ..
إنَّ الغرابةَ كلَّها ..
أنّي محاطٌ بالنساءِ ..
ولا أرى أحداً سواكِ ..

على عينيك يضبط العالم ساعاته

١

قبل أن تُصبحي حبيبتي
كانَ هناكَ أكثرُ من تقويمٍ لحساب الزَمَنْ
كان للهُنُود تقويمُهُمْ ،
وللصينيِّينَ تقويمُهُمْ ،
وللفُرْسِ تقويمُهُمْ ،
وللمصريِّينَ تقويمُهُم ،
بعدَ أن صرتِ حبيبتي
صارَ الناس يَقُولون :
السنةُ الألفُ قبل عَيْنَيْها
والقرنُ العاشر بعد عَيْنَيْها .

٢

وصلتُ في حُبِّكِ إلى درجة التَبَخُّرْ
وصارَ ماءُ البحر أكبرَ من البحرْ
ودَمْعُ العين أكبرَ من العينْ
ومساحةُ الطَعْنَةِ..
أكْبَرَ من مساحة اللّحْمْ.

٣

لم يَعُدْ بُوسْعي أن أحِبَّكِ أكْثَرْ
وأتوحَّدَ بكِ أكْثَرْ
صارتْ شفتايَ لا تكفيانِ لتَغْطيةِ شَفَتَيْكِ
وذِرَاعايَ لا تكفيانِ لتطويقِ خَصْرِكْ
وصارتْ الكلماتُ التي أعرفُها
أقَلَّ بكثيرٍ ،
من عدد الشَامَاتِ التي تُطرِّزُ جَسَدكِ .

٤

لم يعُدْ بوُسْعي ،
أن أتَغَلْغَلَ في أدغَالِ شَعْرِكِ أكثَرْ
فمنذُ أعوامٍ ،
وهُمْ يُعلِنونَ في الجرائد أنّي مفقودْ
ولا زلتُ مَفْقُوداً ..
حتى إشعارٍ آخَرْ ..

٥

لم يَعُدْ بوُسْع اللغة أن تَقُولَكِ..
صارتِ الكَلِماتُ كالخيول الخَشَبيَّهْ
تركضُ وراءكِ ليلاً ونهاراً
ولا تَطَالُكِ..

٦

كُلَّما اتَّهمُوني بحُبِّكِ..
أشعُرُ بتفوّقي.
وأعقدُ مؤتمراً صحفيّاً،
أوزّعُ فيه صُوَرَكِ على الصحافَةْ،
وأظهر على شَاشةِ التلفزيونْ
وأنا أضعُ في عروة ثوبي
وردةَ الفضيحَةْ..

٧

كنتُ أسمعُ العُشّاقَ
يتحدَّثُونَ عن أشواقِهِمْ
فأضْحَكْ ..
ولكنْ عندما رجعتُ إلى فُنْدُقِي
وشربتُ قهوتي وحدي ..
عرفتُ كيفَ يدخلُ خنجرُ الشوقِ في الخاصرَةِ
ولا يخرجُ أبداً ..

٨

مُشْكلتي مع النَقْد
أنّي كلَّما كتبتُ قصيدةً باللون الأسودْ
قالوا إنَّي نَقَلْتُها عن عَيْنَيْكِ..

.. ومشكلتي مع النساءْ
أنَّني كلَّما نفيتُ علاقتي بكِ
سَمِعْنَ خَشْخَشَةَ أساوركِ
في ذَبْذَبات صوتي
ورأينَ قميصَ نَوْمكِ
مُعَلَّقاً في خِزَانة ذاكرتي .

١٠

لا تُعوِّديني عليكِ..
فقد نصحني الطبيبْ
أنْ لا أتركَ شفتيَّ في شَفَتَيْكِ
أكثرَ من خَمْسِ دقائقْ
وأنا لا أجلسَ تحت شمس نَهْدَيْكِ
أكثرَ من دقيقةٍ واحدةٍ
حتَّى لا أحترقْ..

١١

إنْ كنتِ تعرفِينَ رَجُلًا ..
يُحِبُّكِ أكثرَ منّي
فدُلّيني عليهْ
لأُهنِّئهُ ..
وأَقْتُلَهُ بعد ذلكْ ..

في وصف قطة سيامية

١

تخلعُ فاطمةُ حِذَاءَها ...
وتتكوّمُ ،
كقِطَّةٍ سِيَاميَّةٍ في جَوْف راحتي
ترمي حقيبتَها على مَقْعَدْ ...
وكيسَ مُشْتَرياتِها على مقعدْ
وتدخُلُ ...
في أوّلِ شريانٍ تصادِفُهْ .

٢

تخلعُ فاطمةُ أسماءَها ..
وتقرّرُ في شجاعةٍ باهِرَهْ
أن تكونَ امرأتي ..
تَنْتَزِعُ الحَلَقَ من أُذُنَيْها
تَنْتَزِعُ الأساورَ من يَدَيْهَا
ترمي خواتمَهَا ..
ودبابيسَ شَعْرِها على الأرضْ
وذاكرتَها .. وأيَّامَها المتشابهةَ على الأرض
وتَنْدسُّ كشجرة الكاكاو ...
تحت ثيابي ..

٣

تَضَعُ فاطمةُ صورةً كبيرةً لها في غرفة الجُلُوسْ
تختارُ لونَ ستائري ،
ولونَ دفاتري ،
وتَفْرضُ عليَّ ذَوْقَها في الطعام ، وفي الحُبّ
وتُغَمْغِمُ من فَرَحِها ..
كقِطَّة سياميَّةْ ..

٤

تدخُلُ فاطمةُ عليَّ ..
مُلْتفةً بزوبعةٍ من شَعْرِهَا الأَسْوَدْ ..
تَضَعُ مجلَّاتِـها النسائيّـةَ على مكتبي .
وثوبَ نومها في خزانتي ..
وملاقطَ شَعْرِها في جواريري ..
تضعُ فُرْشَاةَ أسنانها ،
قُرْبَ فُرْشاةِ أسناني ،
فأُدركُ أنَّها قرّرتِ احتلالي ...

٥

تضجرُ فاطمةُ من شكل نهديْها
ونحاولُ رسْمَهُما من جديدْ..
وتضجرُ من مكانِ سُرَّتِها الذي لا يتغيَّرْ
وتأمُرُها أن تتحوَّلَ إلى عُصْفور..
لا شيءَ أروعَ من فاطِمَةْ
عندما تخرجُ من بيت الله
وتصهل كمُهْرَةٍ..
تحت شمس الحريَّهْ.

٦

تقودُ فاطمةُ انقلاباً تاريخياً على جَسَدِها ..
وتستلم السُلْطَهْ .
تضعُ وزراءها في السجنْ
ومُسْتَشاريها في السجنْ
وقَيْسَ بنَ الملوَّحِ ، وجميلَ بُثَيْنَةَ
وجميعَ الشعراء العُذْريّينَ في السجنْ
وجميعَ الذين ألَّفُوا في فَنِّ الحُبّ
ولم يلامسوا إصْبَعَ امرأةْ ...

وجميعَ الذينَ تحدَّثوا عن انتصاراتهم النسائيَّةَ
دون أن يصابُوا
بطَعْنَةٍ واحدةٍ..
أو بقُبْلةٍ واحدةٍ
أو بذَبْحَةٍ قلبيّةٍ واحدَهْ..
وجميعَ الذين كتبُوا عن جحيم الجنسْ
ولم يناموا مع ذبابَهْ..
وتعلنُ فاطمةُ أمام الجماهير التي جاءتْ لمبايعتِها
وفي لحظة صدقٍ لا يعرفُها العرب
أنّها حبيبتي..

٧

ترفضُ فاطمةُ جميعَ النُصُوصِ المشكوكِ بصِحَّتها
وتبتديءُ من أوَّل السطرْ ..
تمزِّقُ جميعَ المخطوطات التي ألَّفَها الذُكُورْ
وتبتديءُ من أبجديَّةِ أنوثتها .
ترمي جميعَ كُتُبها المدرسيَّةَ ،
وتقرأ في كتاب فمي .
تهاجرُ من مُدُن الغبار
وتتبعني حافيةً إلى مُدُن الماء .
تقفز من قطار الجاهلية
وتتكلّم معي لغةَ البحر ..
تكسر ساعتَها الرمليَّه ..
وتأخذُني معها إلى خارج الوقتْ ...

٨

تعتقدُ فاطمَهْ
ـ وفاطمةُ دائماً على حقّ ـ
أنَّ حركةَ التاريخ تبدأ من عَيْنَيْها ،
وأن الإنسانَ الأوَّلَ ،
عمَّر مغارتَهُ ما بين نهدَيْها ..
وأن اللغةَ لولاها ، لا عَمَل لها ..
والموسيقى لا صوتَ لها ..
والألوانَ لا لونَ لها ..
وأن الشِّعْرَ ـ إذا هي رَفَعَتْ يدها عنه ـ
سيُقفل البابَ على نفسه ،
وينتحرْ ...

٩

تُعْجِبُني قَرَاراتُ فاطِمَهْ
عندما تتحَّولُ من حَجَرٍ مُسْتَديرْ
إلى نَافُورة ماءٍ في بيتٍ أنْدَلُسيْ
ومن قصيدةٍ مَوْزُونةٍ ومُقفَّاةْ
إلى حمامةٍ تحطُّ على كَتِفي .
ومن جاريةٍ في بلاط هارون السادسِ عَشَرْ
إلى مليكةٍ في بَلَاط الشِّعْر ...

١٠

تعجبني حماقاتُ فاطمَهْ ..
عندما تتجاوزُ الإشَاراتِ الحمراءْ
التي وضَعَها التاريخيُّونَ حولَ كلامِها ،
وحولَ أحْلَامِها ..
وتذبحُهُمْ في خيمَتِهمْ
واحداً .. واحداً ..
وتعجبُني مبالغاتُ فاطمَهْ
عندما تطرُدُ جميعَ حُرَّاسِها
وتُعيِّنني حارساً على نهدَيْها
بمرتَّبٍ قدرُهُ عَشَرَةُ آلافِ قُبْلةٍ
في الليلة الواحِدَهْ ....

١١

أحِبُّ فاطمَهْ
حين تشربُ قهوتَها الصباحيَّةَ ،
وتشربُني ..
وأحبُّها أكثَرْ
حين تؤكِّدُ لي :
أنَّها سوفَ تحتلُّ العالَمَ ،
وتَحْتَلُّني ..

١٢

فَاجَأْتُ فاطمَهْ
وهي تصطادُ السَمَكَ الأحمَرْ
على شواطيءِ دمي ..

١٣

تعتقلني فاطمةُ تحت أهدابِها
فلا أعرفُ متى ينتهي الليل
ومتى يبدأ النَهارْ..

١٤

على يَدَيْ فاطِمَهْ
تعلَّمتُ أن أكونَ كاتباً جيّداً
ومحارباً جيّداً
كما علَّمَتْني أن أُحِبَّها جيداً
وعلى يَدَيْ فاطمَهْ
تعلَّمتُ أن الليبراليَّةَ هي امرأَهْ.
وأنَّ الرجُلَ - مهما تثقَّفَ -
فَهُوَ رَجُلُ مخابَراتْ...

١٥

مَنْ لم يعرِفْ فاطمَهْ
لم يعرِفْ ما هي أعظَمُ أعمالِ اللهْ ..
ولَمْ يعرفْ ما هو الشِعْرْ ..

١٦

تُحَطِّمُ فاطمَهْ
جميعَ قوارير الطبِّ العربيْ
وجميعَ مُعْتَقلاتِ الحُبِّ العربيْ
وتُخْرجُني من ثبات النَصِّ العربيْ
وتفتحُ لي بابَ الإجتهادْ .

١٧

فاطِمَةْ .

هي أهَمُّ امرأةٍ بين نساء العالَمْ .

وأنا ، أَهَمُّ رَجُلٍ أحَبَّها

وحَمَلَ السلاحَ معها ..

إنها تثلج نساء

١

إنَّها تُثْلِجُ نساءً ..
أَنْزَعُ معطفَ المطر الذي أرتديهْ ،
وأُقفل مظلَّتي ،
وأتْرُكُهنَّ يتساقَطْنَ على جسدي
واحدةً .. واحدَهْ
ثماراً من النارْ
وعصافيرَ من الذَهَبْ .

٢

إنَّها تُثْلِجُ نساءً ..
أفْتَحُ جميعَ أزرار قميصي
وأتركُهُنَّ يَتَزَحْلَقْنَ على هضابي
ويغْتَسِلْنَ بمياهي
ويَرْقُصْنَ في غاباتي
ويَنمْنَ في آخر الليل كالطيور فوق أشجاري ..

٣

إنها تُثْلِجُ نساءً ..
أخرجُ كالطفل إلى الحديقَهْ
وأتركُهُنَّ يكرُجْنَ كاللآليْ على جبيني
إمرأةً .. إمرأَهْ
ولُؤْلُؤةً .. لُؤلُؤَهْ ..
أحملُهُنَّ كالثلج على راحة يدي
وأخافُ عليهنَّ أن يذُبْنَ كالثلج بين أصابعي
من حرارة العشقْ .

٤

إنَّها تُثْلِجُ نساءً ..
تحرجُ بلادُ العربِ عن بِكْرَةِ أبيها
البوادى تحرجُ .. والحواضرُ تَخْرُجْ
الأعياءُ يخرجونَ .. والفقراء يخرجونْ
واحدٌ يحملُ بارودةَ صيدْ
وواحدٌ يحملُ صنَّارةَ سمكْ
وواحد يحمل قَفَصاً
وواحدٌ يحمل بَطْحَةَ عَرَقْ
وواحدٌ يحملُ مخدَّةً وسريرا ..

٥

إنَّها تُثْلِجُ نساءً ..
والوطَنُ كلُّهُ مُسْتَنْفَرٌ للهجوم على اللون الأبيضْ
واحدٌ يريد أن يُقَرْقِشَ الثلج تحت أسنانِهْ ..
وواحدٌ يريد أن يتزوَّجَ الثلجْ ..
وواحدٌ يريدُ أن يأكلَهُ ..
وواحدٌ يريدُ أن يأخذَه لبيت الطاعَهْ ..
وواحدٌ يسحبُ دفترَ شيكاته من جيبه
ليشتري أيَّ نهدٍ أشْقَرَ يسقطُ من السماءْ
كي يجعلهُ ديكوراً في حجرة نومِهْ ....

٦

يَسْمَعُ الثلجُ قَرْعَ الطبولِ ، وخَشْخَشَةَ السلاسِلْ
ويَرَى بريقَ الخناجر ، والتماعَ الأنيابْ
يخافُ الثلجُ على عذريَّتهِ ..
فيحزم حقيبتَهُ ،
ويقرّرُ أن يسقطَ في بلادٍ أُخرى ...

حزيران (يونيو) ١٩٨٣

٢٥ وردة في شعر بلقيس

١

كنتُ أعرفُ أنّها سوف تُقتَلْ ..
وكانتْ تعرفُ أنّي سوف أُقتَلْ ..
وقد تَحقَّقت النُبُوءتانْ ..
سَقَطتْ هيَ ، كالفَراشةِ ، تحت أنقاض الجاهليَّةْ
وسقطتُ أنا .. بين أنياب عصرٍ عربيّْ
يفترسُ القَصَائدْ ..
وعُيُونَ النساءْ ..
ووردةَ الحريَّه ..

٢

كنتُ أعرفُ أنَّها سوفَ تُقْتَلْ .
وأنَّ أُنوثَتَها لن تَنْفَعَها .
فالأُنوثة في هذا الوطن الممتد جغرافيّاً
من المشنقة إلى المشنقة
ومن القذيفةِ إلى القذيفة
ليست سبباً تخفيفياً
يَحْمي الحمائمَ من الذبح ..
ولا تُعطي امتيازاً للأمّهاتْ
لكي يُكْمِلْنَ رضاعَ أطفالهنَّ .

٣

كنتُ أعرفُ أنَّها سوفَ تُقْتَلْ..
فقد كانتْ جميلةً في عصرٍ عربيٍّ قبيحْ..
وكانتْ نقيَّةً في عصرٍ عربيٍّ مُلوَّثْ
وكانتْ نبيلةً في عصر الصعاليكْ.
وكانتْ لؤلؤةً نادرةً
بين أكْدَاس اللُّؤلُؤ الصناعيِّ
وكانت امرأةً مُتَفرِّدَهْ..
بين أرتال النساءِ المُتَشَابِهاتْ...

٤

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلْ ..
ففيها تَجَسدَّتْ حضارةُ ما بين النَهْرَيْنْ
ونحنُ مُتخلِّفُونْ ..
هيَ مَقَامٌ بغداديٌّ رائعْ ..
ونحنُ لا نسمعْ ..
هيَ قصيدةٌ عبَّاسِيَّهْ ..
ونحنُ لا نقرأْ ..
هيَ فصلٌ من ملحمة (جَلْجَامِشْ)
ونحنُ أُميّونْ ..
هي أجملُ ما كُتِبَ من شِعْرْ ..
ونحنُ أردأُ ما كُتِبَ من نثرْ ...

٥

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلْ..
لأنَّ عَيْنَيْها كانتا صافيتَيْنِ كنهرَيْن من الزُمُرُّدْ..
وشَعْرُها كان طويلاً كموَّالٍ بغداديٌّ
فأعصابُ هذا الوطنْ،
لا تتحمَّل كثافة اللون الأخضرْ
ولا تتحمَّل رؤيةَ مليونِ شجرة نخلْ
تتجمَّعُ في عَيْنَيْ بلقيسْ

٦

كنتُ أعرفُ أنّها سوف تُقتَلْ..
فكلُّنا ـ دونَ استثناءٍ ـ موضوعونَ على قائمة الطعامْ
في هذا الوطن الذي احترف أَكْلَ مواطنيهْ
والعربُ .. أنّهمْ يطالبونَنا قبل أن يأكلونا .
أن نُغنّيَ النشيدَ الوطنيْ!!
ونأخذَ التحيّةَ العسكريّةَ لرئيس المائدَهْ
وللغارسونات الذين يُحيطونَ به ..
أيُّ سيناريو وطنيٍّ؟ أيُّ وطنٍ؟..
حين تكون جثّةُ المواطن العربيْ
مدفونةً في مكانٍ ما..
بين معدة الحاكم العربيْ..
وبين مصرانِهِ الغليظْ ..

٧

كنتُ أعرفُ أنَّها سوف تُقْتَلْ..
فقد كانت مساحةُ كبريائِها
أكبرَ من مساحة شبه جزيرة العَرَبْ
وكانت حضارتُها لا تسمحُ لها
أن تعيشَ في عصر الإنحطاطْ ..
وكان تركيبُها الضوئيُّ..
لا يسمح لها أن تعيشَ في العُتْمَهْ...

٨

كانت تعتقدُ من شدَّة عُنْفُوانِها
أنَّ الكرةَ الأرضيّةَ صغيرةٌ عليها ..
ولهذا حَزَمتْ حقائبَها ،
وانْسَحَبتْ على أطراف أصابعها ،
دون أن تُخْبِر أَحَداً ..

٩

لم تكُنْ خائفةً أن يقتلَها الوطنْ
ولكنَّها كانت خائفةً على الوطنْ
أن يقتُلَ نَفْسَهْ ..

١٠

كسحابةٍ حُبْلَى بالشِعرْ..
نَقَّطَتْ فوق دفاتري
نبيذاً.. وعَسلاً.. وعصافير..
وراقُوناً أحمَرْ..
ونقَّطَتْ فوق مشاعري
قُلُوعاً.. وطُيُوراً بحريَّةً
وأقمارَ ياسمينْ.
بعد رحيلها،
بدأتْ عصور العَطَسْ
وانتهى زَمَنُ الماءْ..

١١

كان حبُّها العراقيُّ
لهُ طعْمُ الورد.. وطعْمُ الجَمْرْ..
وكان إذا فصّ في موسم الربيعْ
كَسَر جميعَ السُّدُودْ..
وكَسَرَ عشرينَ ألفَ قطْعَةْ..

١٢

أسَّستُ معها في ٥ آذار ١٩٦٢
أوّلَ مدرسةٍ للعشق في بغدادْ
وعندما سقطتْ بلقيس في ١٩٨١/١٢/١٥
إستقالَ المعلّمون والمعلّماتْ
وهربَ التلاميذْ
وتأجلَّتْ دراسةُ الحُبِّ..
إلى أجَلٍ غيرِ مُسَمَّى...

١٣

قبلَ أن يتركَني شعرُها الذَهبيُّ
ويُسافِرْ .. .
لم أكُنْ أعرفُ أبداً
أنَّ من بعض هوايات العصافير ..
تجميعَ سبائكِ الذَهَبْ ..

١٤

بعد رحيل بلقيسْ
لَنْ يكبُرَ الشَجَرْ
ولَنْ يستديرَ القَمَرْ
ولَنْ يشْتَعِلَ الماءْ ...

١٥

لأنَّ الشعبَ العربيْ
كانَ يتمنَّى أن يكونَ حُرّاً كشَعْرِ بلقيسْ
وغيرَ مُعْتَقَلٍ بالدبابيسْ
والزنزاناتِ .. والأسلاكِ الشائكَهْ ..
كشَعْرِ بلقيسْ ..
فقد أمرَ السلطانُ ـ نَصَرَهُ الله على أعدائِهْ ـ
ـ وزادَ من عدد مَحْظيَّاتِهِ ونسَائِهْ ـ
بإشعال النار في حقول الحنطَهْ ..
وقَطْعِ رأس كلِّ سنبلةٍ تتكلّمُ مع سنبلةٍ أخرى
والتخلّصِ من شَعْرِ بلقيسَ الجامحْ
كحصان أشقَرْ ..
لأنّه يُعَلِّمُ الناسَ الطُموحْ
ويحرِّضُهُمْ على الحريَّهْ

١٦

كنتُ دائماً أُحِسُّ أنَّها ذاهبَةْ..
وكان في عينَيْها دائماً
قلوعٌ تستعدُّ للرحيلْ..
وطيَّاراتٌ جاثمةٌ على أهدابِها
تستعدُّ للإقلاعْ.
وفي حقيبة يدها ـ منذُ تزوّجَها ـ
كان هناك جوازُ سفرٍ.. وتذكرةُ طيرانْ
وتأشيراتُ دخولٍ إلى بلادٍ لم تزرْها.
وعندما كنتُ أسألُها:
ولماذا تضعين كلَّ هذه الأوراق في حقيبة يدِكْ؟
كانت تُجيبْ:
لأنّي على موعدٍ مع قَوْسِ قزح..

١٧

بعدما سَلَّموني حقيبةَ يدها ..
التي عثروا عليها تحت الأنقاضْ
ورأيتُ جوازَ السَفَرْ ..
وتذكرةَ الطائرَهْ ..
وتأشيراتِ الدُخُولْ ..
عرفتُ أنّي لم أتزوَّج بلقيسَ الراوي
وإنَّما تزوَّجتُ قَوْسَ قُزَحْ ...

١٨

في الحَفَلات العامَّةْ ..
كانتْ تتحاشَى أن تقفَ معي ..
أو تتصوَّرَ معي ..
أو تقولَ للناس : إنَّها زوجةُ الشاعرْ .
أنا الذي كنتُ أبحثُ عنها هنا .. وهناكْ ..
وأطلبُ من المصوّرينَ أن يُصَوِّروني معها ..
حتّى أدخلَ التاريخْ ..

١٩

عندما كانتْ تحضر أُمْسِيَاتي الشعريَّهْ
كانتْ هي التي تسرقُ الأضواءْ
وأنا الذي أبقى في الظلّْ.
لم تكُنْ تطلبُ رضى الشِعرْ..
كان الشعرُ هو الذي يطلبُ رضاها..

٢٠

عندما تموتُ امرأةٌ جميلَهْ..
تفقدُ الكُرَةُ الأرضيَّةُ توازُنَها
ويعلنُ القمرُ الحدادَ لمئة عامْ
ويصبحُ الشِعْرُ عاطلاً عن العَمَلْ..

٢١

لم تكُنْ تعترفُ بأوساط الحُلُولْ
حُضورُها كان استثنائيّاً ..
وحديثُها كان استثنائيّاً ..
وشَعْرُها الذي كان يسافر في كلٍّ الدنيا ..
كان حادثاً استثنائيّاً ..
لذلكَ ..
كان موتُها استثنائيّاً مثلَها ...

٢٢

تَزَوَّجتْني .. رَغْمَ أنفِ القبيلَهْ
وسافرتْ معي ..
رَغْمَ أنف القبيلَهْ ..
وأعطتْني زينبَ وعُمَرْ ..
رَغْمَ أنف القبيلَهْ ..
وعندما كنتُ أسألُها : لماذا ؟
كانت تأخُذُني كالطفل إلى صدرها
وتُتَمْتِمْ :

٢٣

كانت خُرافيَّةَ الألوان .. كفَرَاشَهْ
ورشيقةَ الطيران .. كفَراشَهْ ..
وقصيرةَ العُمْر .. كفَرَاشَهْ ..
وعندما أحرقوها في يوم ١٥ ديسمبر ١٩٨١
قالت إحصاءاتُ الأمم المتّحدهْ
إنَّنا القبيلةُ الوحيدةُ في العالم
التي تأكُلُ الفَرَاشْ ..

٢٤

بلقيسُ الراوي
بلقيسُ الراوي
بلقيسُ الراوي
كنتُ أُحِبُّ إيقاعَ اسْمِها ..
وأتمسَّكُ برنينِهْ ..
وكنتُ أخافُ أن أُلصِقَ به كُنْيَتي
حتى لا أُعكِّرَ ماءَ البحيرَهْ ..
وأُشَوِّهَ روعةَ السمفونيَّهْ ..

٢٥

ما كان لهذه المرأةِ أن تعيشَ أكثرْ ..
ولا كانتْ تتمنَّى أن تعيشَ أكثَرْ
فهي من فصيلة الشُموع والقناديلْ
وهي كاللَّحظة الشعريَّهْ
لا بدَّ لها أن تنفجرَ قبل آخرِ السطرْ ....

بيروت ١٠/٤/٨٢

الحب لا يقف على الضوء الأحمر

١

لا تُفَكِّرْ أبداً .. فالضوءُ أحمَرْ ..
لا تُكلِّمْ أحداً .. فالضوءُ أحمَرْ
لا تجَادلْ في نصوص الفقْهِ ..
أو في النَحْوِ ..
أو في الصَرْفِ ..
أو في الشِعْرِ ..
أو في النَثْرِ ..
إنَّ العقلَ ملعونٌ ، ومَكْروهٌ ، ومُنْكَرْ ...

٢

لا تُغادرْ ..
قُنَّكَ المختومَ بالشَمْعِ .. فإنَّ الضوءَ أحمَرْ
لا تُحِبَّ امْرَأةً .. أو فأْرةً ..
إنَّ ضوءَ الحُبِّ أحمَرْ ..
لا تُضَاجِعْ حائطاً .. أو حَجَراً .. أو مَقْعَداً ..
إنَّ ضوءَ الجنْسِ أحمَرْ ..
إبْقَ سِرِّياً ..
ولا تكشِفْ قَرَاراتِكَ حتَّى لذُبَابَهْ ..
إبْقَ وتأمّلْ.. من الأشعار بطولهْ
ولا تدخُلْ شريكاً في الزنى أو في الكتابَهْ ..
فالزنى في عصرنا ..
أهونُ من جُرْم الكتابَهْ ..

٣

لا تُفكِّرْ بعصافير الوطَنْ ..
بأشجارِ .. وأنهارِ .. وأخبارِ الوطَنْ
لا تُفكِّرْ بالذين اغتصبُوا شمسَ الوطَنْ ..
إنَّ سيفَ القَمْع يأتيكَ صباحاً
في عناوينِ الجريدَهْ ..
وتَفَاعيلِ القصيدَهْ ..
وبقايا قَهْوَتِكْ
لا تنَمْ بيْنَ ذرَاعَيْ زوجتِكْ ...
إنَّ زُوَّاركَ عند الفجر موجودونَ تحت الكَنَبَهْ ..

٤

لا تُطَالعْ كُتُباً في النقد أو في الفلسفَهْ
إنَّ زُوَّارَكَ عند الفجرِ..
مزروعُونَ مثلَ السُوسِ في كلِّ رفوف المكْتَبَهْ..
إبْقَ في برميلكَ المملوءِ نَمْلاً.. وبَعُوضاً.. وقِمَامَهْ..
إبْقَ مِنْ رجْلَيْكَ مشنوقاً إلى يوم القيامَهْ..
إبْقَ من صوتِكَ مشنوقاً إلى يوم القيامَهْ..
إبْقَ من عقلكَ.. مشنوقاً إلى يوم القيامَهْ..
إبْقَ في البرميلِ.. حتَّى لا ترى
وَجْهَ هذي الأمّةِ المُغْتَصبَهْ..

٥

انت لو حاولتَ أن تذهبَ للسلطانِ ..
أو زوجتِهِ ..
أو صِهْرِهِ ..
أو كلبِهِ المسؤولِ عن أَمْن البلادْ ..
والذي يأكُلُ أسماكاً .. وتُفَّاحاً .. وأطفالاً ..
كما يأكُلُ من لحم العبادْ ..
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ ..

٦

أنتَ لو حاولتَ أن تقرأ يوماً
نَشْرةَ الطقس .. وأسماءَ الوفيّاتِ .. وأخبارَ الجرائمْ ..
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ ..
أنتَ لو حاولتَ أن تسألَ عن سعر دواء الرَبْو ..
أو أحذيةِ الأطفالِ ..
أو سعرِ الطماطمْ ..
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ ..
أنتَ لو حاولتَ أن تقرأ يوماً
صفحةَ الأبراجِ ..
كي تعرفَ ما حَظُّكَ قَبْلَ النَفْطِ ..
أو حظُّكَ بعدَ النَفْطِ ..
أو تعرفَ ما رقْمُكَ ما بين طوابير البهَائمْ ..
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ ..

٧

أنتَ لو حاولتَ ..
أن تبحثَ عن بيتٍ من الكرتُون يأويكَ ..
أو سيِّدةٍ ـ من بقايا الحرب ـ ترضى أن تُسَلِّيكَ ..
وعن نهديْنِ معطُوبيْنِ ..
أو ثلّاجةٍ مُسْتَعمَلَهْ ..
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ ..
أنتَ لو حاولتَ ..
أن تسألَ أستاذَكَ في الصفّ .. لماذا ؟
يتسَلَّى عربُ اليوم بأخبار الهزائمْ ؟
ولماذا عربُ اليوم زُجَاجٌ فوقَ بعضٍ يتكَسَرْ ؟
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ ..

٨

لا تُسَافِرْ بجوازٍ عربيْ ..
لا تسافرْ مرةً أخرى لأوروبّا
فأوروبّا ـ كما تعلمُ ـ ضاقَتْ بجميع السُفَهَاءْ ..
أيُّها المنبوذُ ..
والمشبُوهُ ..
والمطرودُ من كُلِّ الخرائطْ
أيُّها الديكُ الطعينُ الكبرياءْ ..
أيُّها المقتولُ من غير قتالٍ ..
أيُّها المذبوحُ من غير دماءْ ..
لا تُسَافِرْ نبلاد اللهِ ..
إنَّ اللهَ لا يرضى لقاءَ الجُبَنَاءْ ..

٩

لا تُسافِرْ بجوازٍ عربيٍّ..
وانتظرْ كالجُرْذ في كُلِّ المطاراتِ،
فإنَّ الضوءَ أحمَرْ..
لا تقُلْ باللغة الفُصْحَى..
أنا مروانُ..
أو عدنانُ..
أو سَحْبانُ
للبائعةِ الشقراء في (هارودزَ)
إنَّ الإسمَ لا يعني لها شيئاً..
وتاريخُكَ ـ يا مولايَ ـ تاريخٌ مُزَوَّرْ..

١٠

لا تُفاخِرْ ببطولاتكَ في (الليدو)
فسوزانُ ..
وجانينُ ..
وكوليتُ ..
وآلافُ الفَرَنْسيَّاتِ .. لم يقرأنَ يوماً
قصّةَ الزيرِ وعنترَ ..
يا صديقي :
أنتَ تبدو مُضْحكاً في ليل باريسَ ..
فَعُدْ فوراً إلى الفندقِ ..
إنَّ الضوءَ أحمرْ ..

١١

لا تُسافِرْ ..
بجوازٍ عربيٍّ بين أحياءِ العَرَبْ !!
فهُمُ من أجل قرشٍ يقتُلُونَكْ ..
وهُمُ ـ حين يَجُوعُونَ مساءً ـ يأْكُلُونَكْ
لا تكُنْ ضيفاً على حاتمِ طيْ
فهو كذَّابٌ ..
ونصَّابٌ ..
فلا تَخْدَعْكَ آلافُ الجواري ..
وصناديقُ الذَهَبْ ..

١٢

يا صديقي :
لا تَسِرْ وحدَكَ ليلاً
بين أنيابِ العَرَبْ ..
أنتَ في بيتكَ محدودُ الإقامَهْ ..
أنتَ في قومكَ مجهولُ النَسَبْ ..
يا صديقي :
رحِمَ اللهُ العَرَبْ !!.

سيبقى الحب سيدتي

الكتاب العشرون

١٩٨٧

«لا ثقافة بغير حُبّ. إن الذي يُحبّني يخلقُني»

أراغون

«. . الفنانون يعيشونَ ذكورتهم وأنوثتهم في وقت واحد. . .
إنهم ينجبون أعمالاً رائعة كما تنجب المرأة طفلاً. . ».

الموسيقي جورج موستاكي

«أعلنُ اتّحادي بالحرية. أعلن اتحادي بالآخرين..»

بوشكين

«الفنّ ليس طريقة معقّدة لقول أشياء بسيطة، بل طريقة بسيطة لقول أشياء معقدة..».

جان كوكتو

نظرية جديدة لتكوين العالم

في البَدْءِ.. كانت فاطمَهْ.
وبعدَها، تكوَّنتْ عناصرُ الأشياءْ
النارُ، والترابُ
والمياهُ، والهواءْ
وكانت اللغاتُ والأسماءْ..
والصيفُ، والربيعُ
والصباحُ، والمساءْ
وبعد عينيْ فاطمَهْ
إكتشفَ العالمُ سِرَّ الوردة السوداءْ
وبَعْدَها.. بألفِ قرنٍ
جاءَتِ النساءْ..

ليست تُقَال

حاولتُ أسألُ: ما الأنوثةُ؟
ثمّ عدتُ عن السؤالْ
فأهمُّ شيءٍ في الأنوثةِ
أنّها.. ليست تُقَالْ....

محاولاتٌ لقتل امرأةٍ لا تُقْتَل..

١

وعدتُكِ أن لا أُحِبَّكِ..
ثُمَّ أمامَ القرار الكبيرِ، جَبُنْتُ
وعدتُكِ أن لا أعودَ...
وعُدْتُ...
وأنْ لا أموتَ اشتياقاً
ومُتّ
وعدتُ مراراً.
وقرّرتُ أن أستقيلَ مراراً
ولا أتذكّرُ أني اسْتَقَلتُ...

٢

وعدتُ بأشياءَ أكبرَ منّي . .
فماذا غداً ستقولُ الجرائدُ عنّي؟
أكيدٌ . . ستكتُبُ أنّي جُننْتْ . .
أكيدٌ . . ستكتُبُ أنّي انتحرتْ
وعدتُكِ . .
أن لا أكونَ ضعيفاً . . . وكُنتْ . .
وأن لا أقولَ بعينيكِ شعراً . .
وقُلتْ . . .
وعدتُ بأَنْ لا . . .
وأَنْ لا . .
وأَنْ لا . . .
وحينَ اكتشفتُ غبائي . . ضَحكْتْ . . .

٣

وَعَدْتُك . .
أن لا أُبالي بشَعْرِكِ حين يمرُّ أمامي
وحين تدفَّقَ كالليل فوق الرصيفِ . .
صَرَخْتْ . .
وعدتُكِ . .
أن أتجاهَلَ عَيْنَيكِ، مهما دعاني الحنينْ
وحينَ رأيتُهُما تُمطرانِ نجوماً . . .
شَهَقْتْ . . .
وعدتُكِ . .
أنْ لا أوجِّهَ أيَّ رسالة حبٍ إليكِ . .
ولكنني - رغْمَ أنفي - كتبتْ

وَعَدْتُك . .
أن لا أكونَ بأيِّ مكانٍ تكونينَ فيهِ . .
وحين عرفتُ بأنكِ مدعوةٌ للعشاءِ . .
ذهبتْ . .
وعدتُكِ أن لا أُحِبَّكِ . .
كيفَ؟
وأينَ؟
وفي أيِّ يومٍ تُراني وَعَدْتْ؟
لقد كنتُ أكْذِبُ من شِدَّة الصِدْقِ،
والحمدُ لله أني كَذَبْتْ . . . .

٤

وَعَدْتُ . .
بكل بُرُودٍ . . وكُلِّ غَبَاءِ
بإحراق كُلِّ الجسور ورائي
وقرّرتُ بالسِّرِ، قَتْلَ جميع النساءِ
وأعلنتُ حربي عليكِ
وحينَ رفعتُ السلاحَ على ناهديْكِ
انْهَزَمتْ . .
وحين رأيتُ يَدَيْكِ المُسَالمْتينِ . .
اختجلتْ . .
وَعَدْتُ بأنْ لا . . وأنْ لا . . وأنْ لا . .
وكانت جميعُ وعودي
دُخَاناً، وبعثرتُهُ في الهواءِ .

٥

وَعَدْتُك . .
أن لا أُتَلْفِنَ ليلاً إليكِ
وأنْ لا أفكّرَ فيكِ، إذا تمرضينْ
وأنْ لا أخافَ عليكْ
وأن لا أقدِّمَ ورداً . . .
وأن لا أبُوسَ يَدَيكْ . .
وَتَلْفَنْتُ ليلاً . . على الرغم منّي . .
وأرسلتُ ورداً . . على الرغم منّي . .
وبِسْتُكِ من بين عينيْكِ، حتى شبعتْ
وعدتُ بأنْ لا . . وأنْ لا . . وأنْ لا . . .
وحين اكتشفتُ غبائي ضحكتْ . . .

٦

وَعَدْتُ...
بذبحِكِ خمسينَ مَـرَّةْ..
وحين رأيتُ الدماءَ تُغطّي ثيابي
تأكَّدتُ أنّي الذي قد ذُبِحْتْ..
فلا تأخذيني على مَحْمَلِ الجَدِّ..
مهما غضبتُ.. ومهما انْفَعَلْتْ..
ومهما اشْتَعَلتُ.. ومهما انْطَفأْتْ..
لقد كنتُ أكذبُ من شدّة الصِدْقِ
والحمدُ لله أنّي كَذَبتْ...

٧

وعدتُكِ.. أن أحسِمَ الأمرَ فَوْراً..
وحين رأيتُ الدموعَ تُهَرْهِرُ من مقلتيكِ..
ارتبكْتْ..
وحين رأيتُ الحقائبَ في الأرض،
أدركتُ أنَّكِ لا تُقْتَلِينَ بهذي السُهُولَهْ
فأنتِ البلادُ.. وأنتِ القبيلَهْ..
وأنتِ القصيدةُ قبلَ التكوُّنِ،
أنتِ الدفاترُ. أنتِ المشاويرُ.. أنتِ الطفولَهْ..
وأنتِ نشيدُ الأناشيدِ..
أنتِ المزاميرُ..
أنتِ المُضِيئةُ..
أنتِ الرَسُولَهْ...

٨

وَعَدْتُ . .
بإلغاء عينيْكِ من دفترِ الذكرياتِ
ولم أكُ أعلمُ أنّي سأُلغي حياتي
ولم أكُ أعلمُ أنكِ . .
ـ رغْمَ الخلافِ الصغيرِ ـ أنا . .
وأنّيَ أنتْ . .
وَعَدْتُكِ أن لا أُحبّكِ . . .
ـ يا للحماقةِ ـ
ماذا بنفسي فعلتْ؟
لقد كنتُ أكذبُ من شدّة الصدقِ،
والحمدُ لله أنّي كَذَبتْ . . .

٩

وَعَدْتُكِ . .
أنْ لا أكونَ هنا بعد خمس دقائقْ . .
ولكنْ . . إلى أين أذهبُ؟
إنَّ الشوارعَ مغسولةٌ بالمَطَرْ . .
إلى أينَ أدخُلُ؟
إن مقاهي المدينة مسكونةٌ بالضَجَرْ . .
إلى أينَ أُبْحِرُ وحدي؟
وأنتِ البحارُ . .
وأنتِ القلوعُ . .
وأنتِ السَفَرْ . .

فهل ممكنٌ . .
أن أظلَّ لعشر دقائقَ أخرىٰ
لحين انقطاع المَطَرْ؟
أكيدٌ بأنّي سأرحلُ بعد رحيل الغُيُومِ
وبعد هدوء الرياحْ . .
وإلّا . .
سأنزلُ ضيفاً عليكِ
إلى أن يجيءَ الصباحْ . . . .
*

١٠

وعدتُكِ . .
أن لا أحبَّكِ، مثلَ المجانين، في المرَّة الثانيَهْ
وأن لا أُهاجمَ مثلَ العصافيرِ . .
أشجارَ تُفَّاحِكِ العاليَهْ . .
وأن لا أُمَشِّطَ شَعْرَكِ ـ حين تنامينَ ـ
يا قطَّتي الغاليَهْ . .
وعدتُكِ، أن لا أُضيعَ بقيَّةَ عقلي
إذا ما سقطتِ على جسدي نَجْمةً حافيَهْ
وعدتُ بكَبْحِ جماحِ جُنوني
ويُسْعدني أنني لا أزالُ
شديدَ التطرُّفِ حين أُحِبُّ . . .
تماماً، كما كنتُ في المرّة الماضيَهْ . .

١١

وَعَدْتُك . .
أن لا أُطَارحَكِ الحُبَّ، طيلةَ عامْ
وأنْ لا أخبِىءَ وجهي . .
بغابات شَعْرِكِ طيلةَ عامْ . .
وأن لا أصيدَ المحارَ بشُطآن عينيكِ طيلةَ عامْ . .
فكيفَ أقولُ كلاماً سخيفاً كهذا الكلامْ؟
وعيناكِ داري . . ودارُ السَلاَمْ .
وكيفَ سمحتُ لنفسي بجرح شعور الرخامْ؟
وبيني وبينكِ . .
خبزٌ . . وملحٌ . .
وسَكْبُ نبيذٍ . . وشَدْوُ حَمَامْ . .
وأنتِ البدايةُ في كلِّ شيءٍ . .
ومِسْكُ الختامْ . .

١٢

وعدتُكِ . .
أنْ لا أعودَ . . وعُدْتْ . .
وأنْ لا أموتَ اشتياقاً . .
ومُتّْ . .
وعدتُ بأشياءَ أكبرَ منّي
فماذا بنفسي فعلتْ؟
لقد كنتُ أكذبُ من شدّة الصدقِ،
والحمدُ للّهِ أنّي كذبتْ . . . .

التانغو الأخير
فوق حقل من التوليب الأحمر . .

١

كُنْــتِ . .
في أحسن حالاتِك - يا سيّدتي - هذا المساءْ
كانَ نَهْداكِ . .
يُذِيعانِ بلاغَ الثورة الأولى بتاريخ النساءْ
ويقُودان انقلاباً ضدَّ كلّ الخُلَفَاءْ . .
كانَ في عينيكِ غَيْمٌ أسودٌ . .
وبداياتُ شتاءْ . .
ونُبُوءاتُ جميع الأنبياءْ . .

٢

لم تكوني امرأة عاديةً . . .
في ذلك اليوم الشتائيِّ الذي يحكمُهُ الكونياكُ،
والقهوةُ . . والجِنْسُ . . وإيقاعُ المزاريبِ،
وموسيقى المَطَرْ . .
كنتِ جَمْراً . كُنْتِ فَحْمَا
كنتِ شيئاً لا يُسَمَّى .
لم تكُوني دُمْيَةً مَحْشُوةً بالقطنِ . . مثلَ الأُخْرَياتِ
كنتِ وَحْشاً رائعَ الجلد جميلا . .
لم تكوني نَسْمةً من نسمات الصيفِ . .
لَكنْ كنتِ زلزالاً مَهُولا .
لم تكوني زهرةً من ورقٍ . .
بل حصاناً . . يمضغ الشرشَفَ شوقاً وصهيلا . .

٣

كان تشرينُ بلا عقلٍ . .
وكان العشبُ متروكاً على فطرته الأولى . .
وماري ، تصنعُ الحُبَّ على فطرتها الأولى . .
وكانت تتهجّى جَسَدي حرفاً فحرفا . .
دونَ أن تُخْطىءَ في تشكيل كلِّ الكَلِماتِ
ربّما الكونياكُ قد ثقَّفَ ماري . .
فهي تختارُ أرقَّ المُفْرَدَاتِ .
ربّما الكونياكُ قد علَّمَها
أنَّ في إمكان نهدَيْها احتلالَ الكائناتِ
هذه الليلةَ ، يا ماري ، سأبقى صامتاً
فالبراندي ، هو سُلْطَانُ اللغاتِ . .

٤

كنتِ في أخصب أيامِكِ، يا ماري،
وكانت أنْهُرُ الياقوتِ تجري بهدوءٍ . .
والأزاهيرُ تغطي كلَّ أنحاء السريرْ . .
لم تكوني امرأةً مذعورةً . . أو خائفَهْ
كُنْتِ سِكِّينا بقلب العاصفَهْ
شَربتْ سجّادةُ الموكيت، يا سيدتي، نصفَ دمي
وأنا اقتطفُ التوليبَ مبهوراً . .
وأحسو المَطَرَ الورديَّ من أعلى الينابيعِ . .
وأكوي بالبراندي شَفَةَ الجُرْح . .
ولا أحسبُ للنار حسابْ . .
آهِ . . يا ماري التي تفتحُ لي أسوارَها مثلَ كتابْ
لم يعُد عنديَ ما أقرؤهُ.
فأنا آتٍ من الأرض الخرابْ . .

٥

آهِ.. يا ماري التي تلبس لي
في أوّل الليل قميصاً معجزَهْ..
وإذا ما انتصفَ الليلُ..
قميصاً معجزَهْ..
كيفَ صارَ الزَغَبُ الطالعُ من إبْطيْكِ..
أسلاكَ حريرْ؟
آهِ.. يا ماري التي تحفرني في بطنها العاري..
كجرحٍ مستديرْ..
يا التي أزرعُ في أحشائِها..
السيفَ الأخيرْ..

٦

أحرقَ الكونياكُ أعصابي . .
وفي عينيْكِ بَرْقٌ . . ورعودٌ . . ومَطَرْ
وقلوعٌ . . واحتمالاتُ سَفَرْ
لم أكن أُدْرِكُ ما يجري تماماً . .
غيرَ أن الأرضَ كانت تحتَنا تهتزُّ . .
والجدرانُ، والأبوابُ، والأكوابُ، واللوحاتُ،
والأشجارُ، والأوراقُ في الريح تطيرْ
لم أكُنْ أسمعُ إلا جَرَس القرية في الليلِ،
وإلّا وَقْعَ أقدامٍ على الثلجِ،
وإلّا صَرْخَةَ الأنثى التي تُشْعِلُ النارَ بقلب الزمهريرْ
آهِ . . يا ماري التي تشرح لي كلَّ شيءٍ . . مثل تلميذٍ صغيرْ.
أنتِ منفايَ النهائيُّ . . وميناثي الأخيرْ
فاسحبيني من يدي . .
قبلَ أن يبلعني البحرُ الكبيرْ . . .

جبال الألب ديسمبر ١٩٨٣

إلى سمكةٍ قبرصية.. تُدعى تامارا...

١

باسم ليماسُـولَ..
شكراً يا تامارا
باسْم هذا الخاتم المشغولِ بالفيروزِ..
شُكْراً يا تامارا
باسْمِ هذا الدفتر المفتوح للضوءِ.. وللشِعْر..
وللعشّاقِ..
شكراً يا تامارا
باسم أسرابٍ من النَوْرَسِ كانَتْ
تنقر الحنطةَ من ثغركِ..
شكراً يا تامارا

باسم كلِّ القبرصيينَ الذين اكتشفُوا
اللؤلؤَ الأسودَ في عينيْكِ . .
شكراً يا تامارا
باسم أحزاني التي ألقيتُها في بحر بيروتَ . . .
وأجزائي التي أبحثُ عنها . .
في زوايا الأرضِ ليلاً ونَهارًا . . .
ألفُ شكرٍ . . يا تامارا .

*

٢

يا تامارا القبرصيَّهْ:
أيُّها السيفُ الذي يقتلني من قبل أن يُلقي التحيَّهْ
باسْمِ مقهانا البدائيِّ على البحرِ..
وكُرْسيَّيْنِ مزروعيْنِ في الرملِ..
و (أنطونيو) الذي كان خلالَ الصيف عرَّابَ هوانا.
والذي كان وديعاً مثلَ قطّ منزليٍّ..
وعريقاً مثل تمثال حكيمٍ من أثينا،
ورقيقاً.. وصديقاً.. عندما يختارُ في الليل لنا
فاكهةَ البحر..
ويوصيكِ بأن ترتشفي (الأوزو)
الذي تشربُه آلهةُ اليونانِ في الحبِّ وفي الحربِ..
ويرجوكِ بأن تستمتعي بمذاقِ (الكالامارْ)
ومَذَاقِ العشق في تلك الجزيرَهْ
باسم آلاف التفاصيل الصغيرَهْ..
ألفُ شكرٍ.. يا تامارا

٣

كيف أنسى امرأةً من قبرصٍ . .
تُدْعى تامارا . .
شَعْرُها تعلكهُ الريحُ . .
ونهداها يُقِيمانِ مع الله حِوارَا . .
خرجَتْ من رَغْوَة البحر كعَشْتَارٍ . . وكانتْ
تلبسُ الشمسَ بساقَيْها سِوارَا . .
كيفَ أنسى جسداً؟
يقدحُ كالفوسفور في الليل شَرارَا . .
كيفَ أنسى حَلْمَةً مجنونةً
مزَّقتْ لحمي ، صعوداً . .
وانحدارا . . .

٤

إضهلي . . يا فَرَسَ الماء الجميلَهْ
إصرخي . . يا قطّةَ الليل الجميلَهْ
بلّليني برَذَاذِ الماء والكُحْلِ . .
فلولاكِ لكانتْ هذه الأرضُ صَحَارى . .
بلّليني . . بالأغاني القبرصيَّهْ
ما تهمُّ الأبجديّاتُ . . فأنتِ الأبجديَّهْ . .
يـا التي عشتُ إلى جانبهـا العشقَ . . جُنُـونـاً وانتحارا . .
يا التي ساحلها الرمليّ يرمي لي . .
زُهوراً . . ونبيذاً قبرصياً . . ومَحَارا . .

لم يكُنْ حبُّ تامارا..
ذلك الحبَّ الروائيَّ، ولكنْ
كانَ عَصْفاً ودمارا..
لم يكُنْ جدولَ ماءٍ
إنما كانَ انفجارا
لم يكن حُبّاً صغيراً..
فقد احتلَّ بلاداً.. وشعوباً.. وبحارا..
كلُّ أمجادي سرابٌ خادعٌ
ليس من مجدٍ حقيقيٍ..
سوى عينيْ تامارا..

٥

تحت سطح الماء.. أحببتُ تامارا..
ورأيتُ السَمَكَ الأحمرَ.. والأزرقَ..
والفضيَّ..
فوجئتُ بغاباتٍ من المرجانِ..
داعبتُ كطفلٍ سلحفاةَ البحرِ،
لامستُ النباتات التي تفترسُ الإنسانَ،
حاولتُ انتشالَ السفنِ الغرقى من القَعْرِ..
ولملمتُ كنوزاً ليسَ تُحصى..
ونجوماً.. وثمارا..
تحت سطح الماءِ.. أعلنتُ زواجي بتامارا..
فإذا بالموج قد صار نبيذاً..
وإذا الأسماكُ أصبحنَ سُكارى..

٦

ما الذي يحدثُ تحت الماء في جلد تامارا؟
فهُنا . . الأحمرُ يزدادُ احمرارا . .
وهنا . . الأخضرُ يزدادُ اخضرارا . .
وهنا السُرَّةُ تزدادُ أمام الضوءِ . .
خوفاً . . وانبهارا . .
ما الذي يحدثُ في عقلي . . وفي عقل تامارا؟
سَمَكُ الدولفين يرمي نفسَهُ . .
كالمجانين يميناً . . ويسارا . .
سَمَكُ الدولفين يدعوني لكي أقفزَ في الماءِ . .
وفي مملكة الأسماكِ . .
لا أملكُ رأياً أو خيارا . .
عَبَثٌ . . أن يُسْأَلَ الإنسانُ عن ماضيه أو حاضرهِ،
عندما يتّخذ البحرُ القرارا . . .

٧

يا تامارا. .
أنتِ في قبرصَ كبريتُ. . وشَمْعُ
وأنا موسى الذي أوقدَ تحت الماء نارا. . .

ليماسول آذار (مارس) ١٩٨٤

ثلاث مفاجآتٍ لامرأة رومانسية . .

سَتُفاجأ ـ سيِّدتي ـ لو تعلمُ
أني أجهلُ ما تعريفُ الحبْ ! ! .
وستحزن جداً . . حين ستعلمُ
أن الشاعرَ ليس بعلَّامٍ للغيبْ . .
أنا آخرُ رجلٍ في الدنيا
يَتنبَّأ عن أحوال القلبْ

سيّدتي :
إني حين أحبُّكِ . .
لا أحتاجُ إلى (أل) التعريفْ
سأكونُ غبياً لو حاولتُ،
وهل شمسٌ تدخُلُ في ثقبْ
لو عندكِ تعريفٌ للشِعْرِ . .
فعندي تعريفُ للحُبّْ . .

*

ستُفَاجأ سيّدتي لو تعلمُ
أنّي أميٌّ جداً في علم التفسيرْ
إنْ كنتُ نجحتُ كتابياً في عَمَل الحُبّ
فما نَفْعُ التنظيرْ؟؟
أيصدِّقُ أحدُ أن مليكَ العِشْقِ، وصيَّادَ الكلماتْ
والديكَ الأقوى في كلّ الحَلَباتْ
لا يعرفُ أينَ.. وكيفَ..
تبلّلنا أمطارُ الوجدْ
ولماذا هندُ تُدخِلُنا في زمن الشِعر..
ولا تُدْخِلُنا دعدْ..
أيصدّقُ أحدٌ أن فقيهَ الحبِّ، ومرجعَهُ
لا يُحْسِنُ تفسيرَ الآياتْ..

*

ستُفاجأُ سيّدتي لو تعلمُ،
أني لا أهتمُّ بتحصيل الدرَجاتْ
وبأني رجلٌ لا يُرْعبُهُ تكرارُ السَنواتْ
وتُفاجأُ أكثرَ..
حين ستعلمُ أني رغْمَ الشيب.. ورغْمَ الخبرةِ..
لم أتخرَّجْ من جامعة الحُبْ..
إني تلميذٌ سيّدتي..
إني تلميذُكِ سيّدتي..
وسأبقى ـ حتى يأذَنَ ربّي ـ طالبَ علمْ
وسأبقى دوماً عصفوراً..
يتعلَّمُ في مدرسة الحُلْمْ...

الجديد

. . . وأجهلُ حين أكونُ بحضرة عينيْكِ
ماذا أُريدُ . . وما لا أُريدْ . .
ولم يكُن الحبُّ شيئاً جديداً عليَّ . .
ولكنَّ حبَّكِ كان الجديدْ . . .

الربُّ العاشق

سيّدتي :
حبُّكِ صعبٌ
حبُّكِ صعبٌ
حبُّك صعبْ
لو عانى الربُّ كما عانيتْ
لصاحَ من البلوى : «يا ربُّ» . .

٥ دقائق

إجلسي خَمْسَ دقائقْ
لا يريدُ الشِعْرُ كي يسقطَ كالدرويشِ
في الغيبوبة الكبرى
سوى خَمْسِ دقائقْ. .
لا يريدُ الشعرُ كي يثقبَ لحمَ الورقِ العاري
سوى خَمْسِ دقائقْ. .
فاعشقيني لدقائقْ. .
واخْتَفِي عن ناظري بعد دقائقْ

لستُ أحتاجُ إلى أكثرَ من عُلْبَة كبريتٍ
لإشعَالِ ملايين الحرائقْ
إن أقوى قِصَصِ الحبّ التي أعرفُها
لم تدُمْ أكثرَ من خمس دقائقْ . . .

الديك

سَبَقَ السيفُ العَزَلْ
سَبَقَ السيفُ العَزَلْ
غرقَ المركبُ في الليل بِنَا
قبل أن نبدأ في شهر العَسَلْ
واستقال الديكُ من منصبهِ
تاركاً من خلفهِ،
عشرينَ ديوانَ غَزَلْ
واستقالَ الليلُ من عبء الهوىٰ
واستقال الثغرُ من نار القُبَلْ
فلماذا أنتِ في المسرح يا سيِّدتي
بعد أن ماتَ البَطَلْ؟؟

نرجسيّة

إمرأةٌ مُطْفَأَةُ الذكاءْ
غبيّةٌ في قمّة الغَبَاءْ
هل ممكنٌ أن تبلُغي خمْسَاً وعشرينَ سَنَهْ؟
ولا تزالين تعيشين على هوامش التاريخ والأشياءْ
هل ممكنٌ . .
أيّتها الساذجَةُ، السطحيّةُ، الحمقاءْ
هل ممكنٌ أن تجهلي . .
أنّي الذي أسَّسَ جمهوريةَ النساءْ؟؟

بروتوكول

بوُسْعِكِ أن تجلسي حيثُ شئتِ..
ولكنْ..
حَذَارِ بأن تجلسي في مكان القصيدَهْ
صحيحٌ بأنّي أُحِبُّك جداً..
ولكنني في سرير الهوى
سأنسى تفاصيلَ جسمكِ أنتِ..
وأختارُ جِسْمَ القصيدَهْ..

١٠ - ١ - ٨٦

يُسمُّونني في بلادي (مليكَ النساءْ).
وما عرفوا أنّ قصري زجاجٌ
وعَرْشي هواءْ
يقولونَ إنّي بخيرٍ..
وما شاهدوني
أخوّضُ في بِرْكةٍ من دماءْ

*

يقولونَ إني القويُّ المهيمنُ، والفاتحُ الأعظمُ
وأن حريميَ لا تغربُ الشمسُ عنهُ
وممتلكاتي العيونُ الكبيرةُ، والأنجُمُ
فأيّ مليكٍ تعيس أنا؟
إذا كنتُ أملكُ جيشَ نساءٍ
ولا أحكُمُ!!!

الرجل المعدني

شَفَتاكَ من حَجَرٍ.. وصوتُكِ من حَجَرْ
ويداكَ آنيتانِ من عصر الحَجَرْ..
وأنا على طرف السرير.. كنَخْلةٍ
من ألف قرنٍ.. وهي تنتظر المَطَرْ
إنْهَضْ.. فإنَّكَ حالة مهووسةٌ
إنْهَضْ.. فلا عِلْمٌ لديكَ ولا خَبَرْ..
أنْسَيْتني شِكلي.. وشكْلَ أنوثتي
وكسرتَ أغصاني. وأتْلَفْتَ الزَهَرْ
أنّي أعضُّ على بياض شَراشِفي
وأعضُّ من قهري شبابيكَ القَمَرْ

يا أيُّها الرجُلُ النحاسيُّ الذي أحبَبْتُهُ
خطأً. . وهذا بعضُ سخرية القَدَرْ
الجِنْسُ عندكَ. . كيمياءٌ صِرْفةٌ
والعشقُ عندكَ من تقاليد السَفَرْ
يا فاقدَ الإحساسِ. . قُلْ لي كِلْمةً
قُلْ لي كلاماً حامضاً. . أو مالحا. .
قُلْ لي كلاماً غامضاً. . أو واضحا
قلْ قصةً. . قلْ طُرْفةً
فأنا أموتُ من الضَجَرْ. . .
يا أيّها القرويُّ. . عاملني معاملةَ الشَجَرْ
رُشّ المياهَ على فمي
إزْرَعْ بذوركَ في دمي. .
إزْرَعْ مساماتي عصافيراً. . وعبِّئْني ثَمَرْ. .

يا أيُّها البدويُّ.. إحسبْني هلالاً أو قَمَرْ
إعْزِفْ على خصري..
أما شاهدتَ قبل الآن.. ناياً أو وَتَـرْ؟

*

يا داخِلاً سوقَ النساءِ بناقةٍ..
ودجاجتيْنِ..
أليسَ هذا من أعاجيبِ القَدَرْ؟
إنّي بقمَّةِ فِتْنَتي وتفجّري
وأراكَ. لا علمٌ لديكَ ولا خَبَرْ

*

يا أيُّها المتخلّفُ العقليُّ.. قد أخْجَلْتَني
فالناسُ قد دخلوا إلى عصر الفضاءِ
وأنتَ ـ واأسفي عليكَ ـ
بقيتَ في عصر الحجرْ..

٢٦/ ٤/ ٨٦

نهدان . .

للمرأة التي أُحِبُّها
نهدانِ عجيبانْ
واحدٌ من بلاد النبيذْ
وواحدٌ من بلاد الحنطَهْ
واحدٌ مجنونٌ كرامبو
وواحدٌ مغرورٌ كالمتنبّي
واحدٌ من شمال أوروبا
وواحدٌ من صعيد مصرْ
وبينهما . . .
دارتْ كلُّ الحروب الصليبيَّهْ . .

رائحة الكتابَة

للمرأة التي أحبُّها
قَدَمانِ صغيرتانِ جداً . .
تشبهانِ كلامَ الأطفالْ
ولجسدها رائحة سرّية جداً
كرائحة الكتابة الممنوعَهْ . . .

تدخين

كنتُ أدخّنُ مئةَ سيجارةٍ في اليومْ
وتوقّفتُ عن الانتحار ببطولَهْ
والآن . .
أحاولُ التوقُّفَ عن تدخين امرأةٍ واحدهْ
فلا أستطيعْ . . .

موسيقى

أمطارُ أوروبا
تعزف سوناتات بيتهوفن
وأمطارُ الوطن . .
تعزفُ جراحات سيّـد درويش
وأنا بدون تردد
مع هذا الإسكندرانيّْ
الذي يضيءُ في حنجرته قَمَرُ الحزن . .
ومآذنُ سيّـدنا الحسينْ . .

طبيعةُ الرجل

يحتاجُ الرجلُ إلى دقيقةٍ واحدَهْ
ليعشقَ امرأةْ . . .
ويحتاجُ إلى عصورٍ لنسيانِها . . .

الخروج عن النص

١

أرسمُ على كرَّاستي مُهْرَيْنِ صغيرينْ
يلعبانِ على ساحل البحرْ
ويرشَّان بعضهما بالماءْ
واحدٌ له جناحٌ من صوف الأنغورا
والثاني له جناحٌ من دانتيل فينيسيا
واحدٌ يأكل العشْبَ من مراعي القمرْ
وواحدٌ يأكل العشْبَ من مراعيِ صدري
واحدٌ. . أضعُ على رأسه نقطةً حمراءْ
وواحدٌ. . أتركه بلا تنقيطْ
أرسمُ على كراستي مُهْرَيْنِ صغِيرينْ
واحدٌ تعوّد أن يرضع حليبَ أمه. .
والثاني تعوّد أن يرضع دمي. .
وأسمّيهما مجازاً (النهْدَينْ). .

٢

يكفّرني الذين لم يشاهدوا في حياتهم نهداً حقيقياً.
لأنني رسمتُ على كرّاستي حصاناً
وعندما انتهيتُ من رسم الحصانْ
قفز من الكرّاسة، وطارْ..
يعتبرونَ عملي بِدْعَةً
وخروجاً عن النصّ..
فالنصُّ حَجَرٌ. والنهدُ نافورةُ ماءْ
والنصّ سجنٌ للنساءْ
والنهدُ انقلابٌ أبيضْ
والنصّ نظام استعماريّ قديمْ
والنهدُ حركة ليبراليهْ..
والنصّ زجاجةٌ ضيقة العُنُقْ
والنهدُ سمكهْ...

٣

يهاجمني التاريخيّون..
عندما أخبرهم أنني عرفتُ في أسفاري
نهوداً من جُزُر تاهيتي
تنبت كأشجار جوز الهندْ
ونهوداً من بساتين شط العَرَبْ
تنطّ على كتف الرجل.. كضفدعةٍ نهريَّهْ
ونهوداً من تايلاند
تختصر رقّةَ كونفوشيوس
وعنفَ ماو تسي تونغ..
ونهوداً من جنوب السودان
لها رائحةُ البُنّ المحروقْ
تدخُلُ في خاصرة العاشقْ
ولا تخرجُ.. إلى أن يشاء اللّهْ..

٤

يُدينُني . .
كلُّ الذين لم يشاهدوا في حياتهمْ .
أرنباً يركضْ
يطلقونَ النارَ على أسماكي . .
وضفادعي . .
وأزاهيري الاستوائيهْ . .
يطلقونَ النارَ على حصاني
لأنه حملكِ على ظهره ذاتَ ليلهْ
ومشى سبعةَ أيامٍ . . وسبعَ ليالٍ
حتى أوصلكِ بسلامة الله
إلى شواطىء صدري . .

أريد أن أعيش

ساعديني على الخروج حيّاً . .
من متاهات الشفتين المكتنزتيْن . . والشعر الأسودْ
إنّ معركتي معكِ ليست متكافئهْ
فأنا لستُ سوى سمكةٍ صغيرهْ
تسبح في حوض من النحاس السائلْ .
ساعديني على التقاط أنفاسي
فإنَّ نَبْضي لم يعد طبيعياً . .
ووقتي صار مرهوناً بمزاجيّة نهديْكِ
فإذا ناما نمتْ . .
وإذا استيقظا استيقظتْ
ساعديني على التفريق بين بدايات أصابعي
ونهايات عمودك الفقريّ
ساعديني على السفر من خريطة جسدكْ
فإنني أريدُ أن أعيشْ . . .

قراءة في كفّ امرأة جميلة . . .

ليس هناك امرأةٌ في الدنيا أجملَ منك . .
ولكن مشكلتكِ . .
كَمُشْكِلَة الوردة التي لا تشمُّ عطرَها . .
كمشكلة الكتاب الذي لا يعرفُ القراءة . .
أنتِ أهمُّ امرأة في العالم .
لا لأن عينيكِ هما حديقتان آسيويتان مقمرتانْ
ولا لأن شفتيك تحتكران نصفَ محصول فرنسا
من النبيذْ
ولا لأن نهديكِ هما أوَّل ديكتاتوريْنِ يحكمان
العالم الثالثْ . .
ولا لأن جسدَكِ الذكيّ . .
يفهم ما أقوله ، قبل أن أقولهْ . .
أنتِ أهمّ امرأة في العالم . . .
لأنني أحبُّك . . . .

أشهرك في وجه البشاعة.. دفتر شِعْر

١

أُشْهِرُكِ في وجه العالم
سيفاً من الياسمين..
وأُعلنُ انتصاري.
أُشْهِرُكِ في وجه الكافرينَ،
كتاباً مقدّساً
وفي وجه الأميينَ، قصيدهْ..
وفي وجه البداوةِ، مملكةً من الرخَامْ.

أرمي جوازَ سفري في البحرْ . .
وأُسمّيكِ وطني . .
أرمي جميعَ معاجمي في النارْ
وأسمّيكِ لُغَتي . .
وأغتالُ جميعَ ملوكِ الطوائفْ
وأُسمّيكِ مليكتي .

٢

أشهرُكِ في وجه تَمُّوزَ
وعداً بالمَطَرْ
وفي وجه العَصَافيرِ . .
وعداً بالشَجَرْ
وفي وجه النوارس . .
وعداً باللون الأزرقْ

وأرافقُ الأطفالَ في رحلةٍ مدرسيةٍ
حولَ نهديكِ..
ليلعبوا بكُرات الثلج.
ويصطادوا البطَّ المائيَّ
ويُشاهدوا - على الطبيعة -
كُرَويّةَ الأرضْ...

٣

أشهرُكِ في وجه الصحراءِ
نَخْلَةً...
وفي وجه الجَفَاف، سُنْبُلَةَ قمحْ
وفي وجه الظلام،
شمعداناً من الذَهَبْ

وفي وجه الجائعينَ، رغيفَ خُبْزْ
وفي وجه المسْتَعْبَدِينْ
رايةَ حُرِّيةْ
أشْهرُكِ في وجه البشاعَةْ
حمامةً بيضاءْ
ونافورةَ ماءٍ.. وكتابَ شعرْ

٤

أشْهرُكِ في وجه البوليس العربيْ
أغنيَةْ..
وفي وجه النفط العربيْ
قارورةَ عطرْ
وفي وجه الموت العربيْ
بشارةَ ولادَهْ...

٥

أُعلنُ أمامَ أكَلَة لحوم النساءْ
أنَّكِ حبيبتي
فيرمونَ أضراسهُمْ في البحرْ
ويقلعونَ أظافرهُمْ
ويغسلون الدمَ عن ثيابهمْ
ويدخلون عصر النهضةْ. . .

١٩٨٥

الطيران فوق سطح العالم

١

قرّرتُ نهائياً . . أن أتفرَّغ لكِ . .
فليس هناك قضيةٌ
تستحق أن يموتَ الإنسان من أجلها
إلا حبُّكِ . .
ولا محطةٌ تستحقّ الوقوف فيها
إلا محطّةُ شَعْرك الليليّ
وليس هناك أيديولوجية متكاملة
أكثرَ إقناعاً من تقاطيع وجهكِ . .
وليس هناك مكانٌ للانتحار
أعلى من ذروة نهديْكِ . .

٢

لقد جرّبتُ كلَّ الأعمال اليدويَّهْ
من رَسْمٍ على الزجاج..
وحفرٍ على الخَشَبْ
واستنفدتُ جميعَ امكانيات الصلصال والسيراميكْ
فلم أكتشف آنيةً خزفيّةً
أكثرَ تناسقاً من جسدكْ
وأصغيتُ إلى عَشَرات التنويعات على البيانو
فلم أستمع إلى معزوفةٍ
أحسنَ تأليفاً من أصابعكْ...

٣

قرّرْتُ نهائياً..
أن أتخلّى عن جواز سفري
وأصبحَ واحداً من رعاياكِ.
قرّرتُ نهائياً..
أن أتعلّق بأية سحابةٍ
هاربةٍ مع أطفالها باتجاه البحرْ
فلم يَعُدْ لي وطنٌ أُلتجىء إليهِ..
سوى سواحل يَدَيْكِ..
أنتِ الوطنُ الأخيرُ الباقي على خريطة الحريّهْ
أنتِ الوطنُ الأخير الذي أطعمني من جوعٍ..
وآمنني من خوفْ..

وكلُّ الأوطان الأخرى.. أوطانٌ كاريكاتوريّهْ
كرسوم والت ديزني..
أو بوليسية...
كمؤلفات آغاتا كريستي..
أنتِ آخرُ سنْبُلَهْ..
وآخرُ قَمَرْ..
وآخرُ حمامَهْ..
وآخرُ غمامَهْ
وآخرُ مركبٍ أتعلَّقُ به..
قبل وصول التَتَارْ....

أنتِ آخرُ وردةٍ أشُمُّها
قبل أن ينتهي زمنُ الوردْ..
وآخرُ كتابٍ أقرؤه..
قبل أن تحترقَ كلُّ المكتباتْ
وآخرُ كلمةٍ أكتبُها
قبل أن يأتي زُوَّارُ الفجرْ
وآخرُ عَلاقةٍ أُقيمها مع امرأةْ
قبلَ أن تصبحَ الأنوثَهْ
كلمةً نفتش عنها بالعَدَسات المكبِّرَهْ
في المعاجم والموسوعاتْ....

٤

قرّرتُ أن أذهبَ معكِ . .
إلى آخر نقطةٍ في العالمْ
وآخرِ نقطةٍ من دمي . . .
إنني مشتاقٌ إلى الجُزُرِ التي لا تتعاملُ مع الوقتْ
ولا تقرأ الجرائدَ اليوميَّهْ
لم يَعُدْ عندي أيُّ مَتَاعٍ يُؤسَف عليه . . .
فلحمي . . أكلته الأسماكُ بين بيروت ولارنكا
ووطني . .
نَشَلُوهُ من جيبي قبل أن أصعد إلى ظهر السفينهْ . . .

وتذكرةُ هويَّتي . . .
عليها صورةُ رجلٍ آخَرْ . .
كان يُشْبِهُني قبلَ خمسينَ عاماً . .
ماذا تنتظرينَ كي تَفْتَحي قلوعَ شعرك الأسودْ؟؟
إن رائحةَ الملح والتُوتياء في الميناءْ
تخترقُني كسيفٍ معدنيٍّ
فلماذا لا تفتحينَ واحداً من شرايينكِ لإيوائي؟
أنا الذي فتحتُ جميعَ شراييني . .
لاستقبالِكْ . . .

٥

لم يَعُدْ عندي أسئلةٌ أطرحُها
فأنتِ والبحرُ..
تكتبانِ هذه الليلةَ مصيري
لم يعد عندي ارتباطاتٌ بأيِّ حَجَرْ...
أو بأية شجرهْ
أو بأية رائحهْ..
أو بأية خزانة ملابسْ..
فكلُّ ما تبقّى لي..
هو سروالُ الجينز الأزرق الذي ألبسه..
والذي كان رفيقَ تسكّعي..

ورفيقَ السَفَرِ.. والمنفى، والمقاهي،
والقطاراتِ،
وبواخرِ الشحن، والدُوار، والليل، والبراندي،
والجنس، والصراخِ العصبيِّ في دهاليز الجنونْ.
كلُّ ما تبقّى لي...
هو هذا الجينزُ التاريخيّْ..
المغطّى بالطَعَناتِ.. وفُتَات الخبز..
وفُتات الجِنْسِ.. وفُتَات صرخاتي ودموعي..
والذي صارَ المتحفَ القوميَّ لمشاعري..
والمفكّرةَ التي أسجّلُ عليها مواعيدَ الإقلاع..
والرسوّ.. ومواعيدَ الغيبوبة والكحولْ
وصار.. بعد سقوط كلِّ الأوطان..
وَطَني...

٦

لن أعود إلى حماقاتي السابقَهْ..
ولن أسألكِ إلى أينْ؟
إن الجغرافيا لم تعد عندي ذاتَ موضوعْ
فأنا قارورةُ حزن تطفو على وجه جميع بحار العالمْ.
والمسافةُ بين وَلادتي وموتي تُحسب بالسنتيمتراتْ.
لن أسألك إلى أينْ؟
المهمّ.. أن تنتزعيني من ذاكرتي
ومن أوراق الرزنامة العربية..
وترميني على ظهر سفينةٍ
لا ترفعُ عَلَمَ أي دولَهْ....

فـأنـا لـم أعُـــدْ مكتـرثـاً بـالممـالـك. . ولا
بالجمهورياتْ. .
إن زجاجةَ البراندي. .
هي الجمهوريةُ الأكثرُ عدلاً وأماناً في التاريخ. .
فاغسلي قَدَمَيْكِ بمائها المقدَّسْ
فهذه فرصتُنا الوحيدَهْ. .
للطيران فوق سطح العالَمْ. . . .

بيروت ١٩٨٤

درسٌ في اللغة لتلميذة مبتدئة

١

خُذي كلَّ شيءٍ تريدينَهْ..
واتركي لي لغتي..
فأنا بحاجةٍ حين تكونينَ معي
إلى لغةٍ جديدةٍ أُحبُّكِ بها..
وأُمشِّطُ شعرَكِ بها..
وأغسلُ أقدامَكِ بها..
وأُغطّيكِ بحنان حروفِها،
عندما تنامينْ..

٢

إنني أعرفُ أنّكِ من أقدم اللُّغاتْ
ومن أخْصَب اللّغاتْ
ومن أصعب اللُّغاتْ
ولكنني بحاجةٍ حين تكونينَ معي
أن أصنعَ معجزةً صغيرَهْ
أتحدَّىٰ بها نَهْدَيْكِ الرافِضَيْنِ لكلِّ شيءْ..
والقادريْنِ على كلِّ شيءْ
بحاجةٍ إلى لغةٍ ثانيَهْ..
أتفوَّق فيها على جسدك الخرافيّْ..
وأرفعُ فيها بيارقي
على أبراجك التي لا تغيب عنها الشمسْ...

٣

بلا لُغَتي..
أنتِ امرأةٌ مثلِ باقي النساءْ
وبها، أنتِ كلُّ النساءْ
بلا لُغَتي..
أنتِ إشاعةُ امرأَهْ..
قُصاصةُ امرأهْ..
مشروعُ امرأهْ..
رَسْمٌ تجريديٌ لم يستوعبه أَحَدْ..
ومخطوطةٌ شِعْرِيّة
كُتِبتْ بحبرٍ سريّ
ولم ينتبه إليها الناشرونْ...

٤

بلا لغتي . .
إنتِ إسْوَارةٌ بلا مِعْصَمْ
وملكةٌ بلا شعبْ
ووطنٌ بلا مواطنينْ . .
وكنيسةٌ بلا مصلّينْ . .
وقصيدةٌ جميلةٌ لم يقرأْها أَحَدْ
وها أنذا جئتُ لكي أعلّم الناسْ
كيفَ يَتَهجُّونَكِ . . .

٥

بلا لُغتي..
أنتِ فراشةٌ من حَجَرْ
لا تحطُّ.. ولا تطيرْ
وبيدرٌ لا تهاجمه العصافيرْ
وجزيرةٌ لا تقصدُها المراكبْ
وشفةٌ مكتظّةٌ بالعنبْ
لكنَّها..
لا تعرفُ طعْمَ النبيذْ...

٦

بلا لُغَتي..
لن تجدي مرآةً تتمرّينَ بها..
ولن تجدي مكحلةً تتكحَّلين بها..
ولن تجدي حَلَقاً تضعينَه في أُذُنَيْكِ..
أصفى من دموعي.
فكلماتي هي مراياكِ
ومفرداتي هي أدواتُ زينتِكْ
فخذي كلَّ شيء تريدينهْ..
واتركي لي لغتي..
فهي صولجانُ مجدكْ
وإكليلُ الغار على جبينكْ
وهي العصفورُ الجميل الذي سيحملك على جناحيهْ
ويطير بك حول الكرة الأرضيَّهْ.

٧

بلا لغتي . .
أنتِ كتابٌ لا يزالُ تحت الطبعْ
وقبلةٌ مؤجَّلةُ التنفيذْ
وصلصالٌ لم يتشكَّلْ بعدْ . .
ووردةٌ لم تكتشف عطرها بعدْ . .
ونهدٌ . . لم يعرف ما اسمُهُ بعدْ . .
فهو ينتظرني حتى أسمّيهْ . .

٨

خُذي كلَّ شيء تريدينَهْ
واتركي لي لغتي..
فهي الورقةُ الوحيدةُ التي بقيتْ في يدي..
والحصانُ الأخيرُ الذي أقامرُ عليهْ..
لقد ربحتِ حتى الآن عَشَراتِ الجولاتْ..
وهزمتِني عشرات المرّاتْ..
في معركة الحبّ..
فاسمحي لي أن أنتصرَ عليكِ
ولو لمرةٍ واحدةْ..
في معركة الكلماتْ..

١٩٨٤

الموت الأخير

هذا هو الحدُّ الأقصى لجُنُوني
ولم أعُدْ أقدر أن أحبّكِ أكثرْ .
هذا هو المدى الأخيرُ لذراعيّ
ولم أعُدْ أستطيعُ أن أضُمَّكِ أكثرْ . .
هذه أعلى نقطة يمكنني الوصول إليها
على جبال نهديكِ . . المتوّجين بالثلج والذَهَبْ . .
ولم يَعُدْ بوسعي أن أتسلّق أكثرْ . .
هذه آخرُ معركةٍ أدخلها . .
للوصول إلى نوافير الماء في غرناطهْ
ولم يعد بوسعي أن أقاتلَ أكثرْ . .
هذا آخرُ موتٍ . . أموتُه مع امرأهْ
ومن أجل امرأهْ . .
ولم يَعُدْ يمكنني أن أموتَ أكثَرْ . .

من ملفّات محاكم التفتيش

١

يطالبُني حكماءُ القبيلَهْ
أن أتركَ أشعاري على باب خَيْمتِكْ
وأدخلَ عليكِ، مجرّداً من السلاحْ
ماذا يبقى مني؟
إذا نزلتُ عن فَرَس العشقْ
ورهنتُ راياتي وأوسمتي
ومعطفَ الكلمات الجميلَهْ
الذي كنتُ أختالُ به
كفهدٍ إفريقيٍ مرقّطْ . .

٢

يطالبني عقلاءُ القبيلَهْ
حتى لا تشتعلَ الفتنَهْ
وحتى لا يتقاتلَ الرجالُ مع الرجالْ
من أجل حَفْنةِ كُحْلْ..
وحتى لا يسيلَ دمُ التاريخ من أجل غزالَهْ
أن أفكَّ ارتباطي بعينيكِ السوداوينْ
وأحتكمَ إلى العقلْ..
ماذا يبقى من وطن الكحلْ؟
الذي أعطاني جنسيّتي، وجوازَ سفري
إذا قبلتُ التحكيمْ
وخرجتُ من عينيْكِ السوداوينْ
تلبيةً لمقتضيات الأمن البدويْ....

٣

يطالبُني فقهاءُ القبيلَهْ
باسم الوصايا العشْرِ التي لم أقرأْها
وباسم دولة الذكور التي لا أعترف بها
وباسم المؤلفات التي ألَّفها الجرادُ الصحراويّْ
وباسم شجرة العائلة
التي كسرتُها . . وتدفأتُ على حطبها
أن أتركَ عشقي لكِ في غمدهْ . .
وأتخلّى عن أجمل سيفٍ من الذَهَبْ
إقتنيتُهُ في حياتي . . .

٤

يحاكمني على حبّي لكِ..
قضاةٌ .. لم يقرأوا نصاً واحداً من نصوص العشقْ
ولم يسمعوا بـ (طَوْق الحمامة) لابن حَزْمْ..
وبـ (فنّ الحب) لأوفيد
ويطالبُ برأسي..
مثقفونَ يمارسون الحبَّ مع ذباب المقاهي
ولُواطيُّونْ..
لم يتشرفوا بالوقوف في حضرة امرأهْ
أو بقضاء العطلة الصيفيّة في عينيْ امرأهْ
أو بالسباحة في صوت امرأهْ..

٥

ينصحني شعراءُ القبيلَهْ
الذين رفضت الأميرةُ قصائدَهُمْ
وأمرت شنقهم واحداً.. واحداً.. على شُرْفَتها
لأنهم لم يفهموا لُعْبَةَ الأنوثَهْ
ولا لُعْبَةَ الشِعرْ..
وتلعثموا حين سألَتْهُمْ:
عن الفرق بين إيقاعات البحر الطويلْ
وإيقاعات شعرها الطويلْ
وعن الفرق بين خصائصِ شفتيْها
وخصائص النبيذ الفرنسيِّ
وعن الفرق بين النقطة في آخر السَطرْ
والشَامَة في أعلى الظهرْ...

٦

ينصحني مرتزقةُ البَلاطْ
أن أعودَ من حيثُ أتيتْ
لأن الأميرةَ لا تفتحُ نافذتَها
إلا لعصفورٍ يزقزق جيداً . .
وأنني لو فشلتْ . .
دفنتْني في عتمة ضفائرِها . .

٧

أضعُ دمي على كفّي
وأرشُ شراشفَ الأميرة بأشعاري
يستيقظُ النَهْدانِ الكَسُولان من نَوْمهما،
ويهربانِ معي . . . .

٨

يجتمع حكماءُ القبيلة ومستشاروها في جلسةٍ طارئَهْ
ويدرسونَ مِلفّي ورقةً ورقهْ . .
وأعمالي قصيدةً . . قصيدَهْ . .
ويستعرضون حبيباتي إمرأةً . . إمرأهْ . .
يأخذونَ بَصَمات يدي . . وبَصَمات فمي . .
ويستطلعون إلى إفادات شعراء من الدرجة العاشرَهْ
جاؤوا من كلِّ المدن العربية ليشهدوا ضدّي . . .

٩

يقرِّرون بالإجماع: أنني فضيحةٌ مقروءَهْ
وأنني خطرٌ على الأمن النسائيّ . .
يطلبون مني أن أغادر الوَطَنْ
خلال ثمانٍ وأربعين ساعَهْ
فأغادره . . .
وتتبعني إلى المنفى كلُّ نساء القبيلَهْ . . .

١٩٨٣

حوارٌ مع يدين أرستقراطيتين

١

بالرغم من نزعتي الراديكاليَّهْ
وتعاطفَي مع جميع الثورات الثقافية في العالمْ
فإنني مضطرٌ أن أرفع قبّعتي
ليديْكِ البورجوازيتيْنْ . . .
المصنوعتينِ من الذَهب الخالصْ .
مُضْطَرٌ أن أعترف بنعومتهما القصوىٰ
وأنوثتهما القصوى . .
وسلطتِهما المطلقة على الماء والنَبَاتْ
والحَجَرِ والبَشَرْ . .

ومضطرٌ أن أعترف بفضلهما
على حضارة الإغريقْ
وحضارة الفراعنَةْ
وحضارة ما بين النَهْرَيْنْ.
ومضطرٌ أن أعترفْ
بذكائهما حين تتكلّمانْ
وبعمقهما حين تصمتانْ
وبحضارتهما...
حين تُمْسِكَان إبريقَ الفضَّةْ
وتسكبان الشايَ في فنجاني...

٢

يداكِ أرستقراطيتانِ.. بالوراثَهْ
كما الزُرَافَةُ ممشوقةٌ بالوراثَهْ
وكما البلبلُ موسيقيٌّ بالوراثَهْ
وكما الكلمةُ متمرِّدةٌ.. بالوراثَهْ
وأنا...
لستُ ضدَّ يديْكِ.. المرفَّهتيْن.. المدلَّلتيْنْ..
ولا أفكّرُ - حين أكونُ معهما -
بأيِّ مشاعرَ طبقيَّهْ...

فأنا لا أخلطُ أبداً..
بين ما أعتقدُ أنه عادلْ..
وبين ما أعتقد أنه جميلْ.
بين الأيديولوجيات التي ألمسها بذهني
والأيديولوجيات التي تنقّط حليباً وعسلاً
في راحة يدي...
بين روعة المبادىء
وروعة يديْكِ المليستيْنْ
كأواني الأوبالينْ
وزجاج (غَاليهْ)...

٣

يداكِ ملوكيّتانْ . .
لهما أبّهةُ الملوكِ، وعنفوانُ الملوكْ
وأنا لا أعرف كيف أجلس على طاولة الملوكْ
وما هي اللغةُ المستعملة في مخاطبة الملوكْ
إنني لم أعشقْ في حياتي مليكةً غيرك . .
ولم أتورط مع امرأةٍ . .
من صاحبات الدم الأزرقِ سواكِ . . .
فأنا واحدٌ من أفراد هذا الشعبْ
قلبُهُ ينبضُ كتفّاحةٍ حمراءْ
وأنفهُ يشمُّ رائحةَ الأنثى
بصورةٍ بدائيّهْ . . .

فعلِّمني . .
كيف أكون مهذَّباً مع يديكِ المُهذَّبتيْنْ . .
علّمني كلمة السرّ التي توصل إلى كنوز يَدَيكْ
وعلمني كيف أستعملُ ملاعقَ الفضّهْ
وكيف أتسلّق السلالمَ العاجيَّهْ
وكيف أسند رأسي . .
على المخدات المصنوعة من القطيفة وريش العصافيرْ
يا ذاتَ اليديْنِ اللتيْنِ تربَّتا في العزّ والدلالْ
علمني ماذا أقول لِحَرَسِكْ؟
حتى يسمحوا لي بالدخول إلى قاعة العرشْ
لأقدّمَ ولائي لأصابعكِ الخرافية التكوينْ
وأتلو صلواتي أمام أغلى شمعدانين من الفضّهْ
في تاريخ الكنائس البيزنطيَّهْ . . . .

٤

يداكِ مثقَّفتانِ كثيراً . .
وأُستاذتانِ في علم الجمالْ
وأنا أقرأُ . . وأكتبُ . . على ضوء يَدَيْكِ
وأذاكرُ جميعَ دروسي
وأدخلُ جميعَ امتحاناتي
وأنالُ جميعَ شهاداتي
برعايتهما، وحنانهما، ودَعَواتهما الصالحاتْ
فيا ذاتَ اليديْنِ اللتينِ أدينُ لهما بكل ما أعرفْ
لا تُخْبري أحداً . . .
أنَّ يديْكِ هما مصدرُ ثقافتي . .

٥

زرتُ متاحفَ الدنيا
من اللوفر، إلى المتروبوليتان، إلى البرادو
ورأيتُ أروعَ الأعمال التشكيليَّةْ
وأقْدَمَ المنحوتاتِ، والأيْقُوناتْ
ولكنني لم أشاهد مَنْحُوتةً
بَهَرَتْني أكثرَ من يَدَيكْ. . .

٦

يداكِ مخطوطتانِ عربيّتان نادرتانْ
وكتابانِ.. ليس لهما نسخة ثانيَهْ
فلا تسحبي يَدَكِ من يدي
حتى لا أعودَ أُمِيّاً...

٧

يداكِ أميرتانِ من العصر الوسيطْ
تركبانِ عربةً من الذَهبْ
يجرُّها حصانان من الذَهَبْ
فمتى يصبح النظامُ في وطني ديمقراطياً
لأتمكّن من مصافحة الأميرتينْ؟

٨

لو علم رُوَّادُ المقاهي
أن يَدَيْكِ تتردّدانِ على المقهى كلَّ يومْ
لتركوا فناجينَ قهوتهمْ
وشربُوا يَدَيْكِ...

٩

يقفُ المؤمنونْ
أمام كنيسة القديس بطرس في روما
مبهورينْ...
وأقفُ أمامَ كنيسة يديْكِ..
حاملاً زيتي.. وشموعي..
علّني أحظى بمفاتيح الجنّةْ...

١٠

أنظُرُ إلى يديْكِ . .
وأنتِ تقرأينَ فنجاني .
فأطمئنُّ على مستقبلي . .

١١

يَدَاكِ سحابتانِ ربيعيّتانْ
لولاهُمَا . .
لمات العالمُ عَطَشاً . . .

١٢

كلّ قصائد الشعرْ
من فيرجيل إلى رامبو..
ومن المتنبي إلى ماياكوفسكي
تبدو أمام كلام يديكِ الموهوبَتيْن
وكأنّها مُسودّات لقصائدَ لم تكتمِلْ..

١٣

أصابعُ موزارتْ
توصلني إلى حالة انعدام الوزنْ
وأصابعكْ . .
تُوصلني إلى اللَّهْ. . . .

ليلةٌ في مناجم الذهب

١

جسمُكِ مدْعُوكٌ بالثلج والنارْ
ومعجونٌ ببعضهْ . .
كمربّى التين والسفرجَلْ
ومطروقٌ كأباريق النحاسْ
ومليسٌ كالبروكار الدمشقيّْ
وعابقٌ كأسواق البهارْ
في مدينةٍ آسيويّهْ .

٢

جسمُكِ مطرَّزٌ بالشاماتِ
كليل الباديَهْ
ومزخرفٌ بالأزهارِ،
كالخَطِّ الكوفيِّ
وطازجٌ كعروق النعناعْ
ولامعٌ تحت الشمس كفَقَمةِ البحرْ
ومُسْتَنْفَرٌ للقتال..
كديكٍ لا يَنَامْ....

٣

جسمُكِ مهرجانٌ للضوء والصوت
يُقَامُ تحت رعاية اللَّهْ....

٤

جسمك ليرةٌ ذهبيّةْ
ضُربتْ في القسطنطينيّةْ
ولم يجرؤ أيٌّ من السلاطينْ
أن يصكَّ مثلَها مرةً ثانيَهْ...

٥

جسمُكِ مكتظٌّ بالأحجار الكريمَهْ
مكتظٌّ بالمعادن،
والحنطة،
والتوت البريّْ
وأشجار السُمَّاقْ
مكتظٌّ بالنُبُوءاتِ كالكُتُب المقدَّسهْ
ومضروبٌ بالحليبِ والعَسَلِ الأسودْ
ومُشرَّبٌ بالشمس
كلحم الفاكهة الاستوائيَّهْ..

٦

جسمكِ له رائحةُ القِرْفة واليانسونْ
ورائحةُ الأطفالْ
في اليوم الأوّل من ولادتهمْ . .

٧

جسمُكِ مَقَامٌ عراقيٌّ قديمْ
وقهوةٌ . . وهالْ
وأمطارُ لؤلؤٍ كريمْ
و «إنّه مِن سليمانَ،
وإنه بِسْمِ الله الرحمنِ الرحيمْ»

٨

جسمُكِ مكتنزٌّ كبرتقالَهْ
ومغامرٌ كسَمَكَهْ
ومفتوحٌ كورقة الكتابَهْ..

٩

جسمُكِ برجٌ من الذَهبْ
يستقبلُ كلَّ صباحٍ ألفَ حمامَهْ
ويودّع ألفَ حمامَهْ

١٠

جسمُكِ شَجَرةُ موسيقى
كلّما هززتُها
تساقطتْ منها الموشّحاتُ الأندلسيّةْ
ودموعُ إسحق الموصلي..

١١

جسمُكِ دفترُ سريٌّ
سجّلتُ عليه
كلَّ تاريخ الشعرْ
وكلَّ تفاصيل ليلة القَدْرْ

١٢

جسمُكِ وليمةٌ مجنونَهْ
من ولائم الرومانْ
يسكرُ فيها النهدْ..
حتى يسقط على سجادة الموكيت
نجمةً محترقَهْ...

١٣

جسمُكِ قبيلةٌ تحترف الحرْبْ
كتيبةٌ مدجّجةٌ بالأنوثَهْ..
غَزْوَةٌ حضارية
لاحتلال جميع رجال العالمْ.

١٤

جسمُكِ كاتدرائيةٌ قوطيّةُ الأقواسْ
تمارَسُ فيها كلُّ الدياناتْ
وتُضاءُ الشموعْ
وتقرعُ الأجراسْ
جسمُكِ منارةُ المناراتْ
ووطنُ السفنِ التي لا وطنَ لها
ووطن العصافيرِ التي تموت من شدّةِ البردْ
ووطنُ الكلماتِ
التي تموتُ مِن شدةِ القمعْ . .

١٥

جسمُكِ مزارٌ..
لوليٍّ شرقيٍّ مات عشقاً
ومخطوطةٌ من العهد القديمْ
عليها تواقيعُ ملوكٍ وأنبياءْ
ومغنّينَ وشعراءْ
ورسّامينَ من عصر النهضَهْ
ومعماريينَ..
من السلالة الفرعونية الرابعَهْ..

١٦

جسمُكِ عصفورٌ يلعبُ على البيانو جيداً
ويغنّي . ويرقص. .
ويكتب الشعرَ جيداً.
جسمُكِ حربةٌ من البرونز المشتعلْ
تسافرُ في لحمي. . جيداً. .
وتذبحني. .
جيداً. . جيداً. . جيدا. . . .

١٧

جسمُكِ حاضرُ البديهة دائماً
كثعلبٍ متربّصٍ في غابَةْ. . .

١٨

جسمُكِ كتابٌ يُقرأ من كلِّ الجهاتْ
عَمُودياً يُقرأُ . .
وأُفقياً يُقرأُ . .
في الصباح يُقرأُ
وفي المساء يُقْرأُ
وفي وقت القيلولة يُقرأُ
من الْتِفَاتَةِ العُنُق يُقرأُ
وَمن شموخ النهدين يُقرأُ
ومن أصابع القدمينِ يُقرأُ
ومن استدارة الفخذين يُقرأ
جسمُكِ قارةٌ متعدّدةُ اللغاتْ . . .

١٩

جسمُكِ فيه كلُّ عَظَمة التراثْ
وكلُّ دهْشَة الحداثَهْ
فيه شيءٌ من أصولية المتنبي
وشيءٌ من إضاءات رامبو
وهَلْوَسَات سيلفادور دالي . . .

٢٠

جسمُكِ ثَوْريٌّ بالفطرَهْ
وفدائيّ بالفطرَهْ
وقاتلٌ أو مقتولٌ . .
بالفطرَهْ . .

٢١

إذا كان نهداكِ مثقّفيْنِ ثقافةً عاليَهْ
ـ كما تقولينْ ـ
فلماذا لم يعترفَا حتى الآنْ
بقانون الجاذبية الأرضيّةْ؟

٢٢

درَّسُونا في كلية الحقوقْ
أن نَهْدَكِ . .
هو أقدمُ إعلان للحرّية
عرفه العالمْ . .

٢٣

جسمُكِ إشكالٌ لغويٌّ كبيرْ
فلا أنا أعرف كيف أحفظُهْ..
ولا أنا أعرفُ كيف أنساهْ

٢٤

جسمُكِ هو المَلِكْ
وهو يحكُمُنَا باسم اللَّهْ
ويدخُلنا الجنَّة بأمرِ اللّهْ..
ويطردنا منها.. بأَمْرِ اللهْ...

٢٥

عندما تجلسين على المقعد الأخضرْ
ويقررُ جسمُكِ أن يلقيَ قصيدتَهْ..
أستقيلُ أنا من الكلامْ....

١٩٨٤

قبل أن.. بعد أن..

١

قبلَ أن أحبّكِ.
كنتُ متصالحاً مع اللغَةْ
ألعب بها، بمهارة ساحرٍ محترفْ
وأحرّك خيوطَها..
كما يحرّك طفلٌ طيارةً من ورقْ
كنتُ أميرَ الطير.. وسيِّد المُغنّينْ
وكنتُ إذا سرتُ في الغابَةْ
تركض خلفي الأرانبْ..
وتتبعني الأشجارْ
وتكلمني الضفادعُ النهريّةْ
وتنزلُ النجومُ من شُرُفاتها
لتنامَ على كَتِفي..

٢

قبل أن أحبَّكِ . .
كانت إقطاعاتي الأدبيَّهْ
لا تغيبُ عنها الشمسْ
ومملكتي الشعريَّهْ
تمتدُّ من الماء إلى الماءْ
ومن النساءِ . . إلى النساءْ
وكانت الشفةُ التي لا أكتب عنها
تتحوّلُ إلى وردةٍ من وَرَقْ . .
وكان النهدُ الذي لا يبايعني
ملكاً مدى الحياهْ
يُعتبر نهداً أميّاً . . ورجْعياً
وتسقطُ عنه حقوقُه المدنيّهْ .

٣

قبل أن أحبّكِ..
كان يختبىءُ في حنجرتي عشُّ عصافيرْ
ويعزفُ في دمي
ألفُ تشايكوفسكي..
وألفُ رحمانينوفْ
وألفُ سيّد درويشْ
كانتَ الأبجديّةُ صديقتي
وكانت الثمانيةُ وعشرونَ حرفاً
تكفي لبوحي، واعترافاتي
وتتبعني كقطيعٍ من الغزلانْ
تأكُلُ العشبَ من يدي
وتشربُ الماءَ من يدي..
وتتعلَّمُ أصولَ الحبّ على يدي..

٤

قبل أن أحبَّكِ . .
كانت لغتي على قدِّي
وأحلامي على قَدّي
وحزني . وفَرَحي . وجنوني
على قَدّي . .
وحين جاء الحبُّ الكبيرْ
بدأ المأزِقُ الكبيرْ
وتمزَّقتْ خرائطُ اللغَهْ
وصارَ كلُّ ما أعرفه من كلامٍ جميلْ
لا يكفي لتغطية عَشْر دقائقَ من الحنينْ
عندما أدعوكِ للعشاء . .

٥

قبلَ أن تصبحي حبيبتي
كنتُ أضطجعُ على سرير اللغَهْ
كأيِّ ملكٍ شرقيْ
أتغزّلُ بالكلمة التي أريدْ
وأتزوّجُ المُفْرَدَةَ التي أريدْ
لم يكنْ عندي مشكلةٌ مع اللغَهْ
كنتُ مسكوناً بالرنين كأرغُنِ كنيسَهْ
وكنتُ أهدل كالحمائمْ
وأصدح كطيور الكناري
وألبس اللغةَ في إصبعي
خاتماً من الزمرّد الأخضرْ . .

٦

بعد أن صرتِ حبيبتي
أضعتُ ذاكرتي اللغويّةَ نهائياً
ونسيتُ كيف تُهجّى الحروف.. وكيف تُكْتَبْ..
فلم أعُدْ أتذكّر من الأسماء
إلا اسْمَكِ..
ولم أعُدْ أتذكر من الأصوات..
إلا صوتَكِ...
ولا أتذكّر من موانىء البحر الأبيض المتوسّطْ
سوى عينيكِ المكتظتينِ..
بالحزنِ..
والكُحْلِ..
وطيورِ النَوْرَسْ...

٧

بعدَ.. أن دخَلَ سيفُكِ في لحمي
ولحم ثقافتي
إكتشفتُ أن مساحةَ الفن تضيقْ
كلما اتَّسعتْ مساحةُ العشقْ
وأن الكلمات التي كنتُ أعرفها قبلكِ
سقطتْ من التداولْ
كعملةٍ ورقية ليس لها تغطيَةْ
وأن جميعَ ما أعرفه من مفرداتْ
لا يكفي لتسديد ثمن فنجانيْ قهوَةْ
في أحد مقاهي فينيسيا.. أو كومو..
أو فيينا.. أو لوغانو..
أو بيروتْ..

٨

يا التي تعتقلني في داخل قصائدي
وتتحكم بمفاتيح حنجرتي
ومقامات صوتي..
لم يعد يكفيني أن أقولَ (أُحبّكِ)
أريد أن أصل معكِ إلى مرحلة ما بَعْدَ اللغَهْ
وما وراء جميل بثينَهْ..
وسُحَيْم..
وعُرْوةِ بنِ الوردْ
والرمزيين، والبرناسيين، والسرياليينْ...
فيا سيّدتي، التي أخذت في حقيبتها اللغهْ..
وسافرتْ...
لماذا أطلقتِ الرصاصَ على فمي؟
وأرجعتنِي إلى مرحلة التأتأهْ....
١٩٨٥

الحب.. على شريط تسجيل

١

كلامُكِ ليسَ يُطاقُ..
وتعبيرُ عينيكِ ليس يُطَاقُ..
وهذي الأغاني التي يَتَغَرْغَرُ فيها المُسجِّلُ
منذُ ابتداء النهارِ، إلى مطلعِ الفجرِ
ليست تطاقُ..
ولا بدَّ لي أن أغادرْ..
لماذا أظلُّ هنا؟ حين كلُّ الوسائد ضدِّي..
وكلُّ المقاعد ضدّي..
وكلُّ المرايا.. وكلُّ الزوايا.. وكلُّ الستائرْ.
لماذ أظلُّ هنا بعد موت جميع المشاعرْ؟

٢

لماذا أظلُّ هنا؟
حين أشعر أني سأُشنقُ في آخر الليل..
فوقَ الضفائرْ..
لماذا أظلُّ هنا؟
حين أعرفُ أني سأُدفَنُ تحت رنين العُقُودِ..
وضَوْع البخورِ..
وشكوى الأساورْ..
سأذهبُ حتى أقابلَ شِعْري
فإني نسيتُ تماماً، طريقةَ رَسْمِ الحُروفِ،
نسيتُ بياضَ الدفاترْ..
فنصفي مقيمٌ لديكِ
ونصفي مسافرْ...

٣

صحيحٌ بأنّي أُحبُّكِ..
لكنَّ هذا المناخَ العدائيَّ بيني وبينكِ..
أطفأ كلَّ النجوم،
وأيْبَسَ كلَّ البيادرْ
صحيحٌ . بأنَّ المكانَ أنيقٌ
وأن النبيذَ عتيقٌ
وأنَّ التماثيلَ رائعةٌ، والأزاهرْ
ولكنّني، رَغْمَ هذا الإطار الملوكيِّ حولي،
أحِسُّ بأني أموتُ كشاعرْ...

٤

ويا سِتَّ كلّ الجميلاتِ. .
أعْلَمُ أن عبيدَكِ كُثْرٌ. .
وأنَّ جُنودَكِ كُثْرٌ. .
وأنَّ وصالَكِ قَهْرٌ. . وهَجْرَكِ قَهْرٌ. .
وأنَّ الذي لا يسبّحُ باسمكِ كافرْ
فلا تَضَعيني. . بقائمة الرُكَّع الساجدينْ
ولا تُدْخليني. . بجيشِ الدراويش والصابرينْ
ولا تحسبيني. .
خَرُوفاً تَجُزِّينَ عن جسمه الصوفَ. . كالآخرينْ
ولا تستبدّي برأيكِ فوقَ فراش الهوى
لأنّي من اللّهِ. . لا أتلقى الأوامرْ. . .

فرنسا ٨/١/١٩٨٦

أنا والنساء

١

أريدُ الذهابَ..
إلى زَمَنٍ سابقٍ لمجيء النساءْ..
إلى زمنٍ سابقٍ لقُدُوم البكاءْ
فلا فيهِ ألْمحُ وجهَ امرأهْ..
ولا فيهِ أسمعُ صوتَ امرأهْ..
ولا فيهِ أشنقُ نفسي بثدي امرأهْ..
ولا فيه ألعقُ كالهرِّ رُكْبَةَ أيِّ امرأهْ...

٢

أريدُ الخروجَ من البئر حيًّاً..
لكي لا أموتَ بضَرْبَة نَهْدٍ..
وأُهْرَسَ تحت الكُعُوب الرفيعةِ..
تحت العيون الكبيرةِ،
تحت الشفاه الغليظةِ،
تحتَ رنين الحِلَى، وجُلُود الفِرَاءْ
أريدُ الخروجَ من الثقبِ
كي أتنفَّسَ بعضَ الهواءْ..

٣

أريدُ الخروجَ من القِنِّ . .
حيثُ الدَجاجاتُ . . .
ليس يفرِّقْنَ بين الصباحِ وبين المَسَاءْ
أريدُ الخروجَ من القِنِّ . .
إنَّ الدَجاجاتِ مزَّقْنَ ثوبي . .
وحلَّلنَ لحمي . .
وسَمَّيْنَني شاعرَ الشُعَراءْ . . . .

٤

كرهتُ الإقامةَ في جَوْف هذي الزُجَاجَهْ..
كرهتُ الإقَامَهْ.
أيمكنُ أن أتولَّى
حِرَاسَةَ نَهْدَيْنِ..
حتى تقومَ القيامَهْ؟؟
أيمكنُ أن يصبح الجِنْسُ سِجْناً
أعيشُ به ألفَ عامٍ وعامْ
أريدُ الذهابَ..
إلى حيث يمكنني أن أنامْ...

فإني مللتُ النبيذَ القديمَ . .
الفِرَاشَ القديمَ . .
البيانو القديمَ . .
الحوارَ القديمَ . .
وأشعارَ رامبو . .
ولَوْحَات دالي . .
وأعينَ (إلْزَا)
وعُقْدَةَ كافْكَا . .
وما قالَ مجنونُ لَيْلَى
لشرح الغرامْ . . .

متى كانَ هذا المُخَبَّلُ مجنونُ ليلى . .
خبيراً بفنِّ الغرامْ؟
أريدُ الذهابَ إلى زمن البحرِ . .
كي أتخلَّصَ من كل هذي الكوابيسِ ،
من كلّ هذا الفِصَامْ
فهل ممكنٌ؟
ـ بعد خمسينَ عاماً من الحُبِّ ـ
أن أستعيدَ السلامْ؟؟

٥

أريدُ الذهابَ.. لما قَبْلَ عصر الضفائرْ
وما قَبْلَ عصر عُيُون المَهَا..
وما قَبْلَ عصر رنين الأساورْ
وما قَبْلَ هندٍ..
ودَعْدٍ..
ولُبْنَى..
وما قَبلَ هزِّ القُدُودِ،
وشَدِّ النهودِ..
ورَبْط الزنانير حول الخواصرْ..

أريدُ الرحيلَ بأيِّ قطارٍ مُسَافرْ
فإنَّ حُرُوبَ النساءْ
بدائيَّةٌ كحروب العشائرْ
فقَبْلَ المعاركِ بالسيفِ،
كانتْ هناكَ الأظافِرْ!!.

*

٦

كرهتُ كتابةَ شعري على جسد الغانياتْ
كرهتُ التَسَلُّقَ كلَّ صباحٍ ، وكلَّ مساءٍ
إلى قمة الحَلَماتْ . .
أُريدُ انتشالَ القصيدة من تحت أحذية العابراتْ
أريدُ الدخولَ إلى لغةٍ لا تجيد اللغاتْ
أريدُ عناقاً بلا مُفْرَداتْ
وجنْساً بلا مُفْرَداتْ
وموتاً بلا مُفْرَداتْ
أريدُ استعادةَ وجهي البريءِ كوجه الصلاةْ
أريدُ الرجوعَ إلى صدر أمّي
أريدُ الحياةْ . . .

فرنسا ١٩٨٦

حبٌّ.. تحت الصفر

١

هو البحرُ.. يفصل بيني وبينَكِ..
والموجُ، والريحُ، والزمهريرْ.
هو الشِعْرُ.. يفصل بيني وبينَكِ..
فانتبهي للسقوط الكبيرْ..
هو القَهْرُ.. يفصل بيني وبينكِ..
فالحبُّ يرفُضُ هذي العلاقةَ
بين المرابي.. وبين الأجيرْ..

أحبُّكِ . .
هذا احتمالٌ ضعيفٌ . . ضعيفْ
فكلُّ الكلام به مثلُ هذا الكلام السخيفْ
أحبُّكِ . . كنتُ أحبُّكِ . . ثم كرهتُكِ . .
ثم عبدتُكِ . . ثم لعنتُكِ . .
ثم كتبتُكِ . . ثم محوتُكِ . .
ثم لصقتُكِ . . ثم كسرتُكِ . .
ثم صنعتُكِ . . ثم هدمتُكِ . .
ثمَّ اعتبرتُكِ شمسَ الشموسِ . . وغيّرتُ رأيي . .
فلا تعجبي لاختلاف فصولي
فكل الحدائقِ، فيها الربيعُ، وفيها الخريفْ . .

٢

هو الثلجُ يفصل بيني وبينكِ . .
ماذا سنفعلُ؟
إنَّ الشتاءَ طويلٌ طويلْ
هو الشكُّ يقطعُ كلَّ الجُسُورِ
ويُقْفِلُ كلَّ الدروبِ ،
ويُغْرِقُ كلَّ النخيلْ
أحبّكِ ! .
يا ليتني أستطيعُ استعادةَ
هذا الكلام الجميلْ .

أُحبُّكِ . .
أين تُرى تذهبُ الكَلِماتْ؟
وكيف تجفُّ المشاعرُ والقُبُلاتْ
فما كان يمكنُني قبل عامَيْنِ
أصبح ضرباً من المستحيلْ
وما كنتُ أكتبُهُ ـ تحت وهج الحرائقِ ـ
أصبحَ ضرباً من المستحيلْ . .

*

٣

هو الطَقْسُ يفصلُ بيني وبينكِ . .
إن الضبابَ كثيفٌ
وأنتِ أمامي . . ولستِ أمامي
ففي أي زاويةٍ يا تُرى تجلسينْ؟
أحاولُ لَمْسك من دون جدوىٰ
فلا شفتاكِ يقينٌ . . ولا شفتايَ يقينْ
يداكِ جليديّتانِ . . زجاجيّتان . . محنّطتانِ . .
وأوراقُ أيلولَ تسقُط ذاتَ الشمال وذاتَ اليمينْ
ووجهُكِ يسقُط في البحر شيئاً فشيئاً
كنصف هلالٍ حزينْ . .

٤

تموتُ القصيدةُ من شِدَّة البَرْدِ . .
من قِلَّة الحُبّ . .
من قِلّة الفحم والزيْتِ . .
تيبَسُ في القلب كلُّ زهور الحنينْ
فكيف سأقرأ شعري عليكِ؟
وأنتِ تنامينَ تحت غطاءٍ من الثلجِ . .
لا تقرأينَ . . ولا تسمعينْ .
وكيف سأتلو صلاتي؟
إذا كنتِ بالشعر لا تؤمنينْ .
وكيف أقدّمُ للكلمات اعتذاري؟
وكيف أُدافعُ عن زمن الياسمينْ؟

٥

جبالٌ من الملح. . تفصل بيني وبينكِ. .
كيف سأكسر هذا الجليدْ؟
وكيف سأقطعُ هذي المسافةَ بين شفاهٍ تريدُ اغتيالي. .
وبين سريرٍ يريدُ اعتقالي. .
وبين ضفيرة شعرٍ تكبِّلني بالحديدْ؟

٦

أُحبُّكِ. . كنت أُحبُّكِ حتى التَنَاثُر. حتى التبعْثُرِ. .
حتى التبخّرِ. . حتى اقتحامِ الكواكبِ، حتى ارتكاب القصيدة،
حتى ادّعاء النبوةِ، حتى انقطاعِ الوريدْ
أُحبُّكِ. . كنتُ قديماً أحبّكِ. .
لكنَّ عينيكِ لا تأتيانِ بأيِّ كلامٍ جديدْ
أُحبُّكِ. . يا ليتني أستطيع الدخولَ لوقت البنفسج،
لكنَّ فصلَ الربيع بعيدْ. .
ويا ليتني أستطيع الدخولَ لوقت القصيدة،
لكنَّ فصلَ الجنون انتهى من زمانٍ بعيد.

١٩٨٦

الفهارس

الكتاب الثامن عشر

قصيدة بلقيس

الكتاب التاسع عشر

الحب لا يقف عن الضوء الأحمر

الكتاب العشرون

سيبقى الحب سيدي

منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
ص.ب ٦٢٥٠